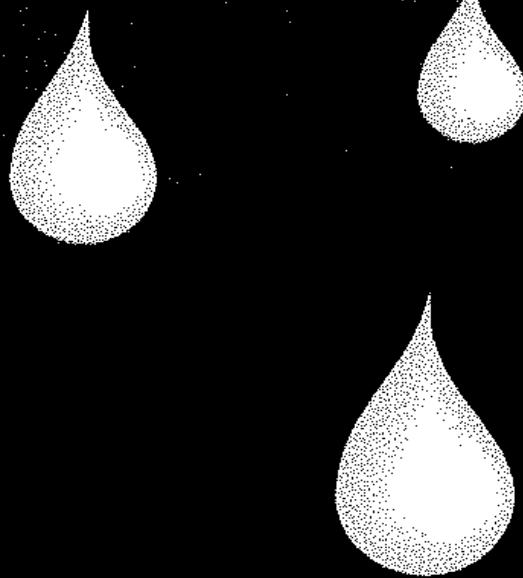


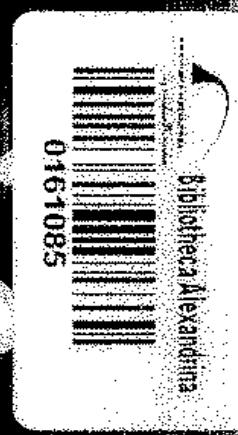
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

دُرْرَانْجُ سَاقِي

لِلْكُتُبِ



فَلَازِ الْجَيْمَدَ
بَيْرُوْت



لأَرْوَحُ سَاقِيَه
فِي
الرَّشَاد

لأَرْجَعُ حَاقِيلَةَ
فِي
الرُّشَادِ

إِعْتَدَاد
لِهِبَّةِ نَاصِيفٍ

وَلَرَاجِيَّةَ
بَيْروت

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية

المقدمة

الرثاء فنٌ من فنون الشعر الغنائي يُعبر فيه الشاعر عن حزنه وتفجّعه لفقدانِ حبيبٍ. وهو يتلوّن بالوان مختلفة تبعاً للطبيعة والمزاج والموافق، فإذا غلب عليه البكاء على الرّاحل، ويث اللوعة والحزن، كان نَذِباً، وإذا غلب عليه تسجيل الخصال الحميدة التي تتمّ بها الفقيد في حياته، كان تَابِيَّاً. وإذا غلب عليه التأمل في حقيقة الموت والحياة كان عزاءً. وقد يجتمع الندب والتَّابِيَّن والعزاء في القصيدة الواحدة.

والرثاء يقتربن بالموت، وليس في العالم أمة لم تعرف الرثاء، كما أنه ليس فيه أمة لم تعرف الموت، فالرثاء وُجد عند كلّ الأمم والشعوب باديةً وراقيّةً مُتَحْضَرَةً.

وأدبنا الرثاء منذ العصر الجاهلي ، إذ كانت النساء والرجال جمِيعاً يندبون الموتى ، كما كانوا يقفون على قبورهم مُؤْتَمِين لهم مُشَيَّنِين على خصالهم . وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت ، وأن ذلك مصير محظوظ .

وأشهر شعراء الرثاء في الأدب العربي المُهَلَّل والخنساء في العصر الجاهلي ، وحسان بن ثابت ومتّم بن نويرة في عصر صدر الإسلام ، وجرير في العصر الأموي ، والمتّبّي وابن الرومي وأبو تمام في العصر العباسي ، والأخطل الصّغير ، وحافظ إبراهيم في العصر الحديث .

وقد أثبتت في كتابي هذا أروع ما وجدته لهرلأء الشعرا من قصائد
الرثاء، وضمت إلى هذه القصائد أخوات لها شعرا آخرين لم يقلوا جودة
في رثائهم عن الشعرا الخالدين الذين سبق ذكرهم.

وأمل أن تُعجب هذه الباقة من قصائد الرثاء التي اخترتها القراء
الأعزاء، فأكون قد وُفِّقت في عملي، وإن فحسي أثني حاولت، والله ولِي
ال توفيق .

المؤلف



المهلل

هو عديّ بن ربعة التغلبيّ، وحال الشاعر امرئ القيس، لُقب بالزَّير لكثره مجالسته النساء. كان يقضى أيامه في اللهو وشرب الخمر. وكان له أخ اسمه وائل، ولقبه كليب، وامرأته جليلة بنت مرأة الشيباني من بكر، وكان لمرة عشرة بنين أصغرهم جساس. وحدث يوماً أن نزلت حالة جساس، وأسمها البسوس، على جساس، فرمى كليب ناقتها وفصيلها بقوسه، فقتل الفصيل، وراحت الناقة تتعجّ. فلما رأتها البسوس صاحت: «واذلاه». فقال لها جساس: اسكنني، فلتك بناقتك ناقة أعظم منها». فأبى إلا رأس كليب. فقتل جساس كليباً، وهب المهلل يطلب ثار أخيه، ونشبت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة ودعى ثار حرب البسوس. وقد أبدى المهلل في تلك الحرب شجاعة نادرة، وأسر في آخر الأمر، ومات في أسره سنة ٥٣١ م.

للمهلل ديوان شعر أهم ما فيه رثاؤه لأخيه كليب. ورثاؤه مزيج من دمع وحرب، من عاطفة رقة تنبعث من قلب محبّ، وعاطفة خشونة تنبعث من حالة البراءة والفطرة.

رثاء كليب

أهاجَ قَدَّاً عَيْنِيَ الْأَذْكَارُ
هُدُوءًا فَالْمُدُوعُ لَهَا انْجَدَارٌ^(١)
وصَارَ اللَّيلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا
كَانَ اللَّيْلُ لَيْسَ لَهُ نَهَارٌ
وَيُثْ أَرَاقِبُ الْجَزْوَاءَ حَتَّى
تَقَارِبَ مِنْ أَوَالِهَا آنْجَدَارٌ^(٢)
أَصْرَفَ مُقْلِتِي فِي لَأْسِرِ قَوْمٍ
تَبَائِنَتِ الْبَلَادُ بِيَهُمْ فَغَارُوا^(٣)
وَأَسْكَنَى وَالنَّجْوُمُ مُطْلَعَاتٍ
كَانَ لَمْ تَخِوْهَا غُنْيَ الْبَحَارُ
عَلَى مَنْ لَوْتَعَيْتُ وَكَانَ حَيَا
لَقَادَ الْحَيْلَ يَحْجِبُهَا الغَبَارُ
دَعَرْتُكَ يَا كُلَّيْبُ قَلْمَنْ تُجِبِّنِي
وَكَيْفَ يُجِبِّنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
أَجِبِّنِي يَا كُلَّيْبُ خَلَاكَ ذَمٌ
ضَيْنِيَاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَزَارٌ
أَجِبِّنِي يَا كُلَّيْبُ خَلَاكَ ذَمٌ
لَقَدْ فَجَعْتُ بِفَارِسِهَا نِزَارٌ

(١) القدّاء: ما يخرج من العين الرمداء. هدوءاً: في هدأة الليل، سكونه.

(٢) الجوزاء: برج في السماء.

سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا
 وَشَرَا حِينَ يُلْتَمِسُ الْبَسَارُ
 أَبْتَ عَيْنَايِ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا
 كَانَ غَصْنِي الْفَتَادُ لَهَا شِفَارُ^(١)
 وَإِنَّكَ كُنْتَ تَخْلُمُ عَنْ رِجَالٍ
 وَتَعْفُوُ عَنْهُمْ وَلَكَ أَفْتَادُ

المهلل

(١) الغصى: نوع من الشجر. الفتاد: الشوك. الشفار: منابت أهداب العين.



الخنساء

هي أم عمرو بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء. ولدت نحو سنة ٥٧٥ م، ونشأت في بيت ثرية وجاه. وكان لها أخوان: معاوية وصخر، وكان صخر يعطف عليها بنوع خاص، فقتلها كلاهما. وكان لمقتلهما صدئ بعيد في نفسها، فبكى حتى تقرّحت مقلتها، بل حتى عميّت، وذاب قلبها التياعاً، ورثّهما بشعر رقيق، وخَضَتْ صخرًا بالقسم الأكبر منه؛ وقد أدركت الإسلام فاعتنقته مع بناتها، وكانت وفاتها سنة ٦٦٤ م.

لها ديوان شعر كله في رثاء أخويها، ولا سيما صخر، يشعر من يقرأه أنه في ماتم يسمع فيه عويل النائحات، وندب النادبات. هو ديوان امرأة أصيّبت في الصميم، وفقدت من تحبّ ومن كان للحرب سيفاً بتاراً، وللمجالس سيداً مختاراً، وللقرى والقريافة نحراً، وللنجددة فارساً مغواراً. وهي، في رثائهما، تمثل أبداً أخاهما وتخاطبه، وتصوره بحبّ أخويّ صادق، وتبكي ولا تملّ من مخاطبة العينين تسألهما الدمع، والعينان تجيّان، وإذا الدمع نار في هشيم، وإذا اللوعة أبداً في ازدياد. وفيما يلي بعض النماذج من رثائهما.

رثاء صخر

يُؤْرَقِنِي التَّذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي
فَأَضْبَحَ قَدْ بَلِيتُ بِفَرْطِ نُكْسٍ
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيْ فَقَى تَصْخِرٍ
لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ وَطِعَانٍ خَلْسٍ^(١)
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ رُزْءًا لِجِنْ،
وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ رُزْءًا لِإِنْ^(٢)
يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غَرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كُثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْرَاهِهِمْ، لَقَتَّلْتُ نَفْسِي!
وَلَكِنْ لَا أَرَأَلُ أَرَى عَجْوَلًا
وَبَاكِيَةً تَشُوَّخُ لِيَوْمٍ نَحْسٍ^(٣)
أَرَاهَا وَالْهَا تَبَكِي أَخَاهَا
عَشِيشَةً رُزْئِهِ، أَوْ غَبَّ أَمْسِي
وَمَا يَبَكِينَ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ
أَغْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالْتَّائِسِي^(٤)
فَلَادَ، وَاللُّهُ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى
أَفَارِقَ مُهْجَجِتِي وَيُشَقُّ زَمْسِي

(١) طعان خلس: أي طعان فيه إعجال وشجاعة وحدر.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) العجلول: الثكلى الشديدة للحزن من النساء.

(٤) التأسي: التصبر.

فَقْدٌ وَدُغْتُ، يَوْمٌ فِرَاقٍ صَخْرٍ
 أَبِي حَسَانَ، لَذَائِبِي وَأَنْسِي
 فِيهَا لَهْفٌ عَلَيْهِ وَلَهْفٌ أُمِّي
 أَيْضُّ بَحْرٍ فِي الْأَضْرِيعِ، وَفِيهِ يَمْسِيٌّ ا

قَدْيٌ بِعِينِكَ

قَدْيٌ بِعِينِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَارٌ أَمْ
 ذَرْقٌ أَنْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الْدَّارُ؟^(١)
 كَانَ عَيْنِي لِلْذِكْرَاءِ، إِذَا حَطَرَتْ
 فَيُضْرِبُ يَسِيلٌ عَلَى الْخَدَيْنِ، مِذْرَارٌ
 تَبَكِي لِصَخْرٍ، هِيَ الْعَبْرَى، وَقَدْ وَلَ
 هَتْ وَدُونَةٌ مِنْ جَدِيدِ الْثَّرْبِ أَسْتَارُ^(٢)
 تَبَكِي خُنَاسُ، فَمَا تَفَكُّ، مَا عَمَرَتْ،
 لَهَا عَلَيْهِ رَنَينُ، وَهِيَ مِفْتَارٌ^(٣)
 تَبَكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ، وَحْقُ لَهَا،
 إِذْ رَأَبَهَا الْدَّهْرُ إِنَّ الْدَّهْرَ ضَرَارٌ
 لَا بُدُّ مِنْ مِيَّةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
 وَالْدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارٌ^(٤)

(١) العوار: رد العين. أن خلت: أي لأن خلت.

(٢) العبرى: التي لا تجف دموعها. ولهت: اشتتد جزعها. الأستار: طبقات التراب فوق الميت.

(٣) المفتار: المنكسرة.

(٤) في صرفها: في حدوثها وتصرفها. غير الدهر: نوابه. الحول: التحول.

قَدْ تَحَانَ فِيْكُمْ أَبُو عَشْرٍ وَسُودُكُمْ
 بِغَمِ الْمَعْمُمُ، إِلَيْهِ اعْيَنَ نَصَارٌ^(١)
 حُلْبُ النَّحِيزَةِ، وَهَبَابُ، إِذَا مَنِعُوا
 وَفِي الْخُرُوبِ جَرِيَّهُ الْمُهَصَّارُ^(٢)
 يَا صَخْرُ وَرَادُ مَاءٍ قَدْ تَنَاهَرَهُ
 أَهْلُ الْمَوَارِدِ، مَا فِي وَرْدِهِ غَارٌ^(٣)
 مَشَ السَّبَنْتَى إِلَى هَيْجَاءِ مُخْضَلَةِ
 لَهُ سِلَاحَانِ: أَثْيَابُ وَأَطْفَارُ^(٤)
 وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِيَّنَا وَسَبِيلُنَا
 وَإِنْ صَخْرًا، إِذَا تَشَوَّهُ لَنَحَارٌ^(٥)
 وَإِنْ صَخْرًا لَوِفَدَامُ إِذَا رَكِبُوا
 وَإِنْ صَخْرًا، إِذَا جَاغُوا، لَعَقَارٌ^(٦)
 أَغْرِيَ أَبْلَجُ، ثَائِمُ الْهُدَاءِ بِهِ
 كَانَهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٧)

(١) المعجم: المسود.

(٢) النحيزه: الطبيعة. المهاصار: الكثير الدق للأعنق.

(٣) وزاد ماء: أرادت إقدامه على الموت. تنادره: اندر بعضهم بعضاً بصعوبته وهو له. أهل الموارد: أي الأبطال.

(٤) السبني: النمر. الهيجاء المعضلة: الحرب الشديدة.

(٥) تشتو: تدخل في الشتاء.

(٦) العقار: من عقر الإبل أي حصد قوائمها بالسيف لكيلا تشد وقت النحر.

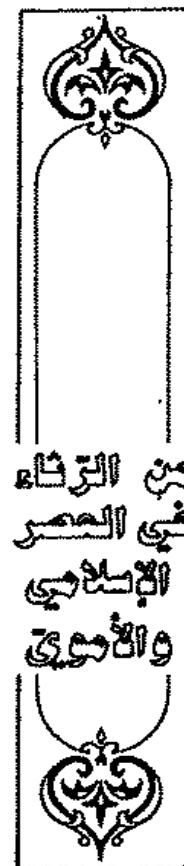
(٧) الأغر: الكريم والشرف. الأبلج: المشرق الوجه.

جَلْدٌ، جَمِيلُ الْمُخْيَا كَامِلُ وَرْعٍ
 وَلِلْحُرُوفِ، غَدَاةَ الرُّفْعِ، مِسْعَارٌ^(١)
 حَمْلٌ أَلْوَاهِ، هَبَاطٌ أَوْدَاهِ
 شَهَادَةَ أَنْدَاهِ، لِلْجَنِينِ جَرَازٌ
 وَلَا تَرَاهُ، وَمَا فِي الْبَتْتِ، يَأْكُلُهُ
 لِكْنَهُ بَارِزٌ بِالصُّخْنِ مِهْمَارٌ^(٢)
 قَذْ كَانَ خَالِصَتِي مِنْ كُلِّ ذِي نَسْبٍ
 فَقَذْ أُصِيبَ، فَمَا لِلْعَيْشِ أَوْطَازٌ^(٣)

(١) الجلد: الصبور. الورع: المجنوب لما فيه إثم. الرفع: الخوف وال الحرب. المسعار: موقد نار الحرب.

(٢) المهمار: الكثير البذر.

(٣) خالصتي: من يخلص إلى المردة.



من التراث
في العصر
الإسلامي
والأخواني

متمّم بن نويرة

هو متمّم بن نويرة بن جمرة اليربوعي التميمي (. . . - نحو ٣٠ هـ / نحو ٦٥٠ م) شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. قُتل أخوه مالك في حرب الردة، فرثاه رثاء حاراً، وظل يبكيه حتى ابكيت عيناه من الحزن، وحتى أسطخ عمر بن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له، وصار ندبه لأنبياء مصير الأمثال، ومن بديع قوله فيه :

لَقِدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقَبْوِ عَلَى الْبُكَا
 صَدِيقِي لَشْرَافِ الدَّمْوعِ السُّوافِكِ
 يَقُولُ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ
 لِقَبْرٍ تَوَى بَيْنَ اللُّؤِي فَالْدُكَادِكِ
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الشَّجْنِي يَتَعَثَّثُ الشَّجْنِي
 فَذَغَنَيِّ، فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَا لَكِ

* * *

أَبْنَى الصُّبْرَ آيَاتٌ أَرَاهَا وَإِنِّي
 أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَ(١)

(١) أقطع : مقطوع.

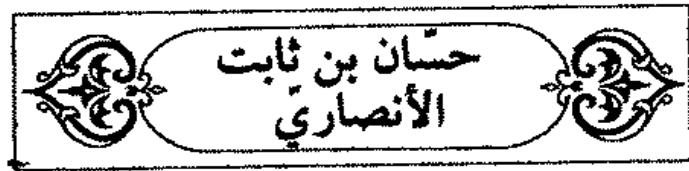
فَإِنِي مَشِى مَا أَذْعَ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ
 وَكُنْتَ حَرِيًّا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا
 تَحِيَّتُهُ مَشِى وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
 وَأَنْسَى ثُرَابًا فَوْقَةَ الْأَرْضِ بَلْقَعًا^(١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَامُ فَرْقَنَ بَيْتَنَا
 فَقَدْ بَانَ^(٢) مَخْمُودًا أَخِي جِينَ وَدَعَا
 وَكُنَّا كَنَّدَمَانِي جَدِيمَةَ جَفَبَةَ
 مِنَ الدُّفَرِ حَتَّى قَبَلَ: لَنْ يَتَصَدَّعَا^(٣)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَاهِي وَمَالِكَا
 لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ يَرُثْ لَيْلَةً مَعَا
 وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى اصَابُ مُتَالِعًا
 أَوِ الرُّكْنَ مِنْ سَلْمَى إِذْنَ لَتَضَعَضَعَا^(٤)

(١) بلقع: أرض قفر.

(٢) بان: فارق.

(٣) جديمة هو جديمة الأبروش ناقم مالكا وعقيلاً ابني فارج بن كعب ثم قتلها. يتصلعا: يتفرقوا.

(٤) متالع وسلمى: جبلان.



هو حسان بن ثابت الأنصاري (... - 54 هـ / 674 م) الصحابي، شاعر النبي ﷺ. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام.

من أهم قصائده تلك التي رشى بها الرسول ﷺ، وفيما يلي بعض أبياتها:

رثاء الرَّسُول
 طيبة رسم للرسول ومهده
 مُنيرٌ وقد تغفو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ^(۱)
 ولا تتحمي الآيات من دار حُرمة
 بها مِنْبُرُ الْهادِي الذي كان يَصْعَدُ^(۲)

(۱) طيبة: هي مدينة النبي، وهو، صلوات الله عليه، الذي سماها بذلك. المعهد: المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتوا عنه رجعوا إليه. الهمود: البلو في كل شيء.

(۲) الآيات: جمع آية وهي العلامة، قوله «الذي كان يصعد» أي المنبر الذي كان يصعده الهادي صلوات الله عليه.

وَوَاضِحٌ آيَاتٍ وَسَاقِي مَعَالِيمٍ
 وَرَتِيعٌ لَهُ فِيهِ مَصْلُى وَمَسْجِدٌ
 إِبَاهَا حُجَّرَاتٍ كَانَ يَنْزِلُ وَشَطَّهَا
 مِنْ أَلَّهُ نُورٌ يُسْتَضِهُ وَيُسْوِدُ^(١)
 مَعَالِيمٌ لَمْ تُطْمِنْ عَلَى الْغَفِيدِ أَيْهَا
 أَنَّاهَا أَلْيَى فَالْأَيُّ مِنْهَا تَجَنَّدُ^(٢)
 عَرَقْتُ إِبَاهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَةَ
 وَقِبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدٌ
 ظَلِيلُتُ إِبَاهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَأَسْعَدْتُ
 عَيْنَوْنَ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُشَعِّدُ^(٣)
 تَذَكَّرُ لِلَّاءُ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
 لَهَا مَخْصِبًا نَفْسِي نَفْسِي تَبَلَّدُ^(٤)
 مَفْجَعَةً قَدْ شَفَهَا فَقَدْ أَخْمَدِ
 فَظَلَّتْ لِلَّاءُ الرَّسُولِ تُعَدُّ^(٥)

(١) الحجرات: جمع حجرة يعني مساكن السيد الرسول.

(٢) لم تطمس: لم تغير. أيها: أي إن آياتها لا تزال على ما تعهد. الآي منها تجند: أي تتجدد، ولعل المراد بالأي هنا آيات الذكر الحكيم.

(٣) فأسعدت عيون: أي فاعانتي عيوني وساعدتني فأتنى بالدعوع لمكان اللوعة مني. وقوله «ومثلاهما من الجفن» جفن العين غطاء العين من أعلى وأسفل، والمراد بالجفن هنا العين نفسها. يقول: ومثل عيني تزأتي بالدعوع.

(٤) قوله «تذكّر» بحلف احدى التامين: أي تذكّر، والعامل قوله: «نفسِي». قوله «تبَلَّد» إنما هو تبدل بحلف أحدى التامين كذلك، وتبدل: أي تتحققها حيرة، والتبدل أيضاً تقىض التجلّد، وهو استكانة وخضوع.

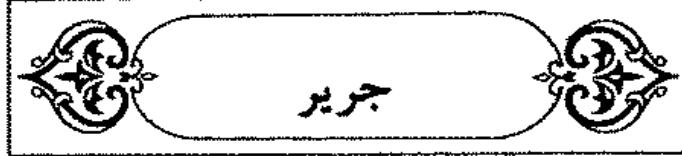
(٥) مفجعة: يقال فمجعته المصيبة وفجعته: أوجعته فهو مفعع أي موجع، والفاجعة السرزية =

وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَةً
 وَلَكِنْ نَفْسِي بَعْضُ مَا فِيهِ تَحْمَدُ^(١)
 أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذَرِّفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
 عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَخْمَدُ
 فَبُورِكَتْ يَا قَبْرُ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
 بِلَادُ تَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ^(٢)

= الموجعة التي تفجع الإنسان بما يعزّ عليه من مال أو حميم. شفّه عليه الحزن والهم: للدع
قلبه وأضممه وهزله حيث رق، وهو من قولهم شفت الثوب إذا رق حتى يصف جلد لابه
تعدد مصارع عدد أي عذ.

(١) العشير: في الأصل كالعشير: الجزء من أجزاء العشرة، وجمع العشير أحشاء مثل نصيب
وأنصباء قوله بعض ما فيه أي بعض ما في كل أمر.

(٢) المسدد: يقال مسدده الله وفقه للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل.



جرير

هو أبو حربة جرير بن عطية (٣٣ هـ / ٦٥٣ م - ١١٤ هـ / ٧٣٣ م) اشتهر بالهجاء، وراح يرمي به الخصوم قوياً شديداً للهجة، فذاع صيته، وردت اسمه الركبان. نشبت بينه وبين الفرزدق حرب هجائية دامت خمسين سنة، كان الشاعر منها ينظم القصيدة ويعث بها إلى خصميه، فينقضر الخصم ما قيل فيها بقصيدة ينظمها على السوزن نفسه، والقافية نفسها. وسميت تلك القصائد «النفائض».

له ديوان شعر في المدح، والرثاء، والغزل، والهجاء. ورثاء جرير سواء أكان في ذويه أم في غيرهم، هو رثاء من يشعر بالمصيبة شعوراً عميقاً، فينهض لها كيانه، ثم يطلق اللسان فيما يفيض من القلب، وإذا اللسان ترجمان النفس، والألفاظ أنفاس حارة، وإذا الشعر يسيل سيلان الدموع المنهممة، في انسجام، وسهولة، ورقّة؛ وإذا أمامك مشهد مؤلم، هو مشهد تتراءى فيه ذكريات الرجل أحبة وصفات محببة إلى كل نفس، وأعمالاً غراء؛ وإذا الشاعر ينطلق بين المناجاة، والنداء، ومخاطبة الميت، والأخبار، رائع الأسلوب، عجيب السلامة؛ وإذا الزفرات المتتصاعدة أدعية واستغفاراً تقف بين المقطوع والمقطوع، وبين الفكرة وال فكرة، شرارات تعصر القلوب وتستقرر الجفون.

ومن قصيدة طويلة وجهها إلى خصميه الفرزدق حاجياً، افتحها برثاء امرأته، فقال:

رثاء امرأته

لَوْلَا الْحَيَاءُ، لَعَادَنِي أَسْتَغْبَارُ،
وَلَسْرُرُتْ بَيْتِكِ، وَالْحَبِيبُ يُرَازُ^(١)
وَلَسَدْ نَظَرُتْ، وَمَا تَمْشُ نَظَرَةٌ
فِي الْخَدِ حَيْثُ تَمْكُنَ الْمِحْفَارُ^(٢)
وَلَهْتِ قَلْبِي، إِذْ عَلَّتِنِي كَبْرَةُ،
وَدَوْوَ الْتَّمَاثِيمِ مِنْ بَنِيكِ صِلْفَارُ^(٣)
أَرْغَى النُّجُومَ، وَقَدْ مَضَتْ غَورِيَّةُ،
عَصْبُ النُّجُومِ كَانَهُنْ صُوَارُ^(٤)
يَقْمَ الْقَرِينُ، وَكُنْتِ عُلَقَ مَضْنَةً
وَأَرَى يَنْفَفِ بُلْيَةُ الْأَخْجَارُ^(٥)
عَمَرَتْ مُكْرَمَةُ الْمَسَاكِ وَفَارَقَتْ
مَا تَمْسَهَا صَلْفٌ وَلَا إِفْتَارٌ^(٦)

(١) استغبار: بكاء. بيتك: قبرك.

(٢) المحفار: آلة الحفر.

(٣) ولها: حزينة أشد الحزن. التمايم تميمة وهي خرزة أو عودة تعلق في عنق الولد للأخطار.

(٤) الغوريَّة: التي تأخذ الغور للغرروب والسقوط. العصب: الجماعات. الصوار: قطيع الوحوش.

(٥) العلق: النليس من كل شيء. المضنة: ما يضن به. النعف: أسفل الجبل وأعلى الوادى. بلية: اسم موضع.

(٦) الصلف: الكبراء. الاقتار: العسر.

فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ، بِرْقَةٌ ضَاحِكٌ
 هَزِيمٌ أَجْشُ، وَدِيمَةٌ مِلْزَارٌ^(١)
 هَزِيمٌ أَجْشُ، إِذَا اسْتَخَارَ بِبَلْنَةٍ
 فَكَائِنًا بِجِوَاثِهَا الْأَنْهَارٌ^(٢)
 مُشَرَّاكِمَ زَجْلٌ يُضِيِّعُ وَمِيَضَةَ
 كَالْبَلْقَ تَحْتَ بُطُونِهَا الْأَمْهَارٌ^(٣)
 كَانَتْ مُكْرَمَةً الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
 يَخْشَى غَوَائِلَ لَمْ حَزَرَةَ جَازٌ^(٤)
 وَلَقَدْ أَرَاكَ كُبِيسَتْ أَجْمَلَ مَنْظَرِ
 وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ
 وَالسَّرِيعُ طَيْبَةً إِذَا اسْتَفَلَتْهَا
 وَالْعَرْضُ لَا دَيْسٌ وَلَا خَوَارٌ^(٥)
 وَإِذَا سَرَيْتَ، رَأَيْتَ نَازِكَ نَوْرَتْ
 وَجْهًا أَغْرِ، يَزِينُهُ الْإِنْفَارُ
 صَلَى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا
 وَالضَّالِّحُونَ عَلَيْكَ، وَالْأَبَرَارُ

(١) الصدى: كان العرب يعتقدون بأنه يخرج من رأس القتيل طير يسمونه «صدى» يظل عطشان يصبح «اسقوني» حتى يؤخذ بيته. الهزم: السحاب الراعد. الأخش: الغليظ الصوت من الرعد. برقه ضاحك: اسم موضع.

(٢) الجواد: جرو وهو الناحية والجهة.

(٣) زجل: ذو جلبة، البلق: بلق وهو ما كان في لونه سواد وبياض.

(٤) الغوائل: المصائب.

(٥) الخوار: الضعيف.

وَعَلَيْكِ مِنْ صَلَواتِ رَبِّكِ كُلُّمَا
 نَصَبَ الْحَجِيجُ مُلِيدِينَ، وَغَارُوا^(١)
 يَا نَظَرَةَ لَكِ، يَقُومُ هَاجَتْ غَبْرَةَ
 مِنْ أُمِّ حَزَرَةَ، بِالشَّمَيْرَةِ دَارَ
 تُخْبِي الْرُّوَامِسُ رَبْعَهَا، فَتُجْدِهُ
 بَعْدَ الْبِلَى، وَتُمِيشُ الْأَمْطَارَ^(٢)
 وَكَانَ مَنْزِلَةَ لَهَا، بِخَلَاجِلِ
 وَخَيِّ الْزَّبُورِ تُجْدِهُ الْأَخْبَارَ^(٣)
 لَا تُخْتِرَنَّ، إِذَا جَعَلْتَ تَلُومِيَّيِّي،
 لَا يَذْفَبَنَّ بِحَلْمِكَ الْإِنْفَارَ
 كَانَ الْخَلِيلُ هُمُ الْخَلِيلُ، فَأَضْبَحُوا
 مُشَبِّلِينَ، وَبِالذِّيَارِ دِيَارَ
 لَا يَلْبَسُ الْفُرَنَاءَ أَنْ هَتَفَرُّوا
 لَبَلْ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارًا

رثاء ابنته

[وقال يروي ابنته سوادة وقد توفى بالشام]:

قَالُوا: نَصِيَّكَ مِنْ أَجْرِ قَتْلِتْ لَهُمْ
 مِنْ لِلْعَرِيَّنِ، إِذَا فَسَاقْتُ أَشْبَالِي؟

(١) نصب: تعب. الحجيج: حاج. ملبدين: مقيمين. غار الرجل: نام.

(٢) الروامس: الرياح.

(٣) الزيبور: المزامير. تجده: تكتبه فتحكمه.

لِكُنْ سَوَادَةُ يَجْلُو مُفْلَسِي لَحْمٍ
 بَازٍ، يُصْرِصُ فَوقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِيٰ^(١)
 قَذْ كُنْتُ أَغْرِفَهُ مِنِّي، إِذَا غَلَقْتُ
 رُهْنَ الْجِيَادِ، وَمَدَ الْفَاهِيَةُ الْعَالِيَّ^(٢)
 إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْتَّيْرَنِ بِسَاكِيَّةُ
 فَرْبُ بَاكِيَّةُ بِالرَّمْلِ بِسَوَالِ
 كَامِ بِوْ عَجُولِ، عَنْدَ مَفْهَدوِ
 حَنْتُ إِلَى جَلْدِي مِنْهُ وَأَوْصَالِ^(٣)
 تَرْتَاعُ مَا نَسِيَتْ، حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ، رَدَتْ
 هَمَاهِمَ، حَرْيُ الْجَنْوَفِ، مِشَكَالِ^(٤)
 زَدَنَا عَلَى وَجْهِهَا وَجْدًا، وَإِنْ رَجَعْتُ،
 فِي الْقَلْبِ مِنْهَا خُطُوبُ ذَاتِ بَلْبَالِ^(٥)
 فَارْقَنْتِي، حِينَ كَفَ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِيِّ،
 وَحِينَ حِزَنْتُ كَعْظِمُ الْرِّمَةِ الْأَبَالِيِّ^(٦)
 إِنْ الشَّوَّيِّ بِسْدِي الْرِّيَّتُونِ، فَأَخْتَسِيِّ،
 قَذْ أَشْرَعَ الْيَوْمَ فِي عَقْلِي وَفِي حَالِي^(٧)

(١) باز لحم: يأكل اللحم أو يشهيه. صرصر الباز: صبات. العرقب: الموضع المشرف يعلوه الرقب.

(٢) غلق الرهن: صار ملك المرتهن.

(٣) البو: ولد الناقة، إذا مات يجشى جلده تبناً فيقرب من أمه، فتحدع وتعطف عليه وتلذ.

الجلد بفتح الجيم واللام: الجلد بكسر الجيم وسكون اللام.

(٤) الهماهم: الأصوات مع بحة. المشكال: الكثيرة التكل.

(٥) البلال: الهم والوسوسة.

(٦) الرمة: ما يلي من العظام.

(٧) الشوي: العيت.

في رثاء معن بن زائدة

كان معن بن زائدة (.... - ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء، والولاة المشهورين. عندما توفي رثاء عدد من الشعراء من بينهم مروان بن أبي حفصة، والحسين بن مطير. قال ابن أبي حفصة في رثائه:

مضى لسيمه مغنٌ وأيقى
مكانٍ لمن تبَيَّد ولمن تُسْلا
كأنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أصَبَ مَغْنَ
مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةً ظِلَالًا
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَ نِزَارٌ
تَهَدَّى مِنَ الْعُلُوِّ بِهِ الْجِبَالَا
وَغُطِّلَتِ التُّغُورُ لِفَقِيرِ مَغْنٍ
وَقَدْ يَرْوِي بِهَا الأَسْلَ النَّهَالا^(١)
وَأَظْلَمَتِ الْعِرَاقُ وَأَرْتَشَهَا
مُصِيبَتُهُ الْمَجْلَّةُ اغْتِلَالًا
وَظَلَّ الشَّامُ يَرْجُفُ جَانِيَاهُ
لِرُكْنِ الْعَزِّ جِينَ وَهُنَّ قَمَالًا
وَكَادَتِ مِنْ تَهَامَةَ كُلُّ أَرْضٍ
وَمِنْ تَجْدِ تَرْوُلُ غَذَاءَ زَالًا
فَلَمْ يَغُلِ الْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ
فَقَدْ كَانَتْ شَطُولُ بِهِ آخْتِيَالًا

(١) التغور: الأماكن المحصنة على الحدود؛ الأسل النهال، الرماح العطاش.

أصابَ الموتُ يَزْمَنَ أَصَابَ مَعْنَا
 مِنَ الْأَخْيَاءِ أَكْسَرَهُمْ نَعَالاً
 وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَغْنِيٍّ
 إِلَى أَنْ زَارَ حُفَرَةَ عِيَالاً
 وَلَمْ يَكُنْ طَالِبٌ لِلْعِرْفِ يَنْوِي
 إِلَى غَيْرِ أَنِّي زَاهِدٌ آرِحَالاً^(١)
 مَضَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلُّ عَبْدٍ
 وَتَسِيقُ فَضْلُ تَائِلِهِ السُّؤَالاً
 وَمَا كَانَتْ تَجْفُ لَهُ حِيَاضُ
 مِنَ الْمَعْرُوفِ مُشَرَّعَةٌ سِجَالاً
 مَضَى لِسَبِيلِهِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو
 بِسِوْ عَشَراتِ دَفْرِكَ أَنْ تُقَالَا
 فَلَسْتَ بِمَالِكِ عَبَرَاتِ عَيْنٍ
 أَبْتُ بِذَمْمَوْعَهَا إِلَّا أَنْهَمَالاً
 وَقُلْنَا أَينَ تَرْجِحُ بَعْدَ مَغْنِيٍّ
 وَقَدْ ذَهَبَ السَّوَالُ فَلَا نَوَالاً
 سَيَذْكُرُكَ الْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالٍ
 إِذَا هُوَ فِي الْأَمْرِ بِلَا الرِّجَالَا
 وَلَا يَنْسَى وَقَائِعَكَ اللَّوَاتِي
 عَلَى أَعْدَائِهِ جَعَلْتَ وَيَالاً.

(١) العِرْفُ: الْعَمَلُ الطَّيْبُ.

وقال الحسين بن مطير:

إِلَمَا عَلَى مَغْنِي وَقُولَا لِقَبْرِهِ
سَقْنَكَ الْفَوَادِي مَرِبْعَا ثُمَّ مَرِبْعَا
فَيَا قَبْرَ مَغْنِي كَيْفَ وَارِثَتْ جُودَة
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَخْرُ وَالْبَرُ مُتَرَغِّبا
وَيَا قَبْرَ مَغْنِي أَنْتَ أَوْلُ حُفْرَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ خُطْتُ لِلْمَكَارِمِ مَضِجَّعا
بَلَى قَدْ وَسَعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ
وَلَوْ كَانَ حَيَا ضُقْتَ حَتَّى تَضَدَّعَا
فَتَّى عِيشَ فِي مَغْرُوفِهِ بَغْدَ مَوْتِهِ
كَمَا كَانَ بَغْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرِبْعَا
وَلَمَّا مَضَى مَنْ مَنَ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى
وَأَضَبَّخَ عَزْنَيْنِ الْمَكَارِمِ أَجْذَعَا^(١)

(١) العزنيين: الأنف، جدع أنه: أي أذنه.



أبو تمام

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ هـ / ٨٠٤ م - ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م) شاعر، وأديب، وأحد أمراء البيان. ولد في جاسم من قرى حوران بسوريا، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه، وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولـي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. في شعره قوّة وجذالة، وانختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري.

له ديوان شعر في مختلف الفنون الأدبية الغنائية التي عرفها العرب. من أشهر مراتيـه تلك التي رثا بها محمد بن حميد الطوسي، أحد قواد جيش المأمون العباسي. قال فيها:

كَذَا فَلِيَجْلِي الْخَطْبُ وَلِيَقْدِحِ الْأَنْزُ
فَلَيْسَ لِغَنِينَ لَمْ يَفْضِ مَأْوَهَا عَذْرُ^(١)
تُؤْفَقِيْتِ الْأَمَالُ بِغَدَّ مُحَمَّدٍ
وَأَضْبَخَ فِي شُغْلِيْ عَنِ السَّفَرِ السُّفْرُ^(٢)

(١) يجل: يعظم. ويدفع: ينقل ويصعب.

(٢) السفر: قطع المسافة. والسفر المسافرون.

وما كان إلا مالٌ مَنْ قُلْ مَالُهُ
 وَذَخِرًا لِمَنْ أَتَسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخِرٌ
 وَمَا كَانَ يَذْرِي مَجْتَدِي جُودٍ كَفَهُ
 إِذَا مَا اسْتَهْلَكَتْ آنَةُ خُلُقِ الْغَنْمِ^(١)
 أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عَطْلَتْ لَهُ
 فِي جَاجٍ سَبِيلُ اللَّهِ وَأَنْفَرَ الشَّغْرِ^(٢)
 فَتَنِي كُلُّمَا فَاضَتْ غَيْوَنُ قَبِيلَةٍ
 دَمًا ضَحَّكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
 فَتَنِي دَفْرَةُ شَطْرَانٍ فِيمَا يَشْرُوْنَهُ
 فِي بَأْسِهِ شَطْرَهُ وَفِي جُودِهِ شَطْرُهُ
 فَتَنِي مَاتَ بَيْنَ الطُّعْنِ وَالضَّرْبِ بَيْتَهُ
 تَقْوُمُ مَقَامُ النُّضْرِ إِنْ فَائِهُ النُّضْرُ
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضَرَّبٌ سَيْفِهِ
 مِنَ الضَّرْبِ وَاغْتَلَتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمُوتِ سَهْلًا فَرَدَةً
 إِلَيْهِ الْحَفَاظُ الْمُرُّ وَالخُلُقُ الْوَغْرِ^(٣)
 وَنَفْسُ تَعَافُ العَازِ حَتَّى كَائِنًا
 هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أوْ دُونَهُ الْكُفْرُ^(٤)

(١) المجدي: الطالب العجدوى أي العطية.

(٢) الفجاج: جمع فجع وهو الطريق الواسع.

(٣) الحفاظ: التبت عن المحارم، والمواظبة على العمل. والوعر: الصعب.

(٤) تعاف: تكره. والروع: الحرب.

فَأَثْبَتَ فِي مُشْتَقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ
 وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ الْحَشْرُ^(١)
 حَدَا غَذَّةً وَالْحَمْدَ نَسْجَ رِدَائِهِ
 فَلَمْ يَنْضَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانَهُ الْأَجْزَرُ
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُنْرَا فَمَا دَجَى
 لَهَا اللَّيلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خُضْرُ
 كَانَ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتَهُ
 نُجُومُ سَمَاءِ خَرْ مِنْ بَيْنِهَا الْبَلْزُ^(٢)
 يُعْزِّزُونَ عَنْ شَاءِ تُعَزِّيْ بِهِ الْعُلَى
 وَيَكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّفَرُ
 وَأَنِي لَهُمْ صَبَرْ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى
 إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَهِدَا هُوَ وَالصَّبَرُ
 فَنِي كَانَ عَذْبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةِ
 وَلَكِنْ كِبَراً أَنْ يَقَالَ بِهِ كِبَرُ
 فَنِي سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ جَمِيْلُ لَهَا
 وَيَرْتَهِ نَارُ الْحَرْبِ وَمَوْلَاهَا جَنْرُ^(٣)
 وَقَدْ كَانَتِ الْبَيْضُ الْمَائِيرُ فِي السَّوَاغِي
 بِوَاتِرٍ فَهِيَ الآنَ مِنْ بَغْدِيْوَ بُشْرُ^(٤)

(١) الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٢) خَرْ: سقط.

(٣) بَرْت: سلبته.

(٤) المَائِيرُ: السيوف التي في متونها أثر. والبَوَاتِر: القواطع. والبَرْت: المقطرة.

أَمِنْ بَغْدَ طَيِّبُ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّداً
 يَكُونُ لِأَثْوَابِ الشَّدَى أَبْدَا نَفَرْ
 إِذَا شَجَرَاتُ الْعَرْفِ جَلَّتْ أَصْوَلُهَا
 فِي أَيْرَ فَرَعْ يَوْجَدُ الْوَرْقُ النَّفَرُ^(١)
 لَيْنُ أَبْغَضَ الدَّفَرَ الْخَوْلُونَ لِفَقِيدِهِ
 لَقَهْدِي بِهِ مَئَنْ يَخْبُ لَهُ الدَّفَرُ
 لَيْنُ غَدَرْتُ فِي الرَّوْعِ أَيْمَانَهُ بِهِ
 فَمَا زَالَتِ الْأَيَامُ شَيْمَهَا الْغَنَرُ^(٢)
 لَيْنُ أَلِسْتُ فِيهِ الْمَصِبَّةَ طَيْسِيَّةَ
 فَمَا عَرَيْتُ مِنْهَا تَمِيمَ وَلَا بَخْرَ
 كَذِيلَكَ مَا نَفَقْتُ نَفَقْدُ هَالِكَا
 يَشَارِكُنَا فِي قَقِيدِهِ الْبَدُو وَالْحَضَرُ
 سَقَى الْغَيْثُ غِيشَا وَارَتِ الْأَرْضُ شَخْصَةَ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرُ^(٣)
 وَكَيْفَ احْتَمَالِي لِلْغَيْوِبِ صَبِيْعَةَ
 بِإِشْقَائِهَا قَبْرَا وَفِي لَخْدِي الْبَخْرُ
 مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةَ
 غَدَاءَ ثَوَى إِلَّا أَشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ^(٤).

(١) جَلَّتْ: قَطَعَتْ.

(٢) الشَّيْمَة: العادة والطبيعة.

(٣) وَارَتْ: أَخْفَتْ.

(٤) ثَوَى: مَاتَ.

ثَوَى فِي الثَّرَى مِنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الشَّرَى
 وَيَغْمُرُ صِرَفَ الدَّهْرِ نَائِلَةً الْغَمْرُ^(١)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقُفْنًا فِي إِنْسَى
 رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرْ لَيْسَ لَهُ غَمْرٌ

وقال يرثي أخاه:

إِنِّي أَظْنَنَ الْبَلَى لَوْ كَانَ يَفْهَمْهُ
 حَمْدُ الْبَلَى عَنْ بَقَابِا وَجِهِهِ الْحَسَنِ
 يَا يَسُوْمَةَ لَمْ تَذَعْ حُشْنَا وَلَا أَدْبَا
 إِلَّا حَكَمْتَ بِهِ لِلْخَدِ وَالْكَفَنِ
 بِلَهُ مَقْلَثَةً وَالْمَوْتُ يَكْسِرُهَا
 كَانَ أَجْفَانَهُ سَكَرَى مِنَ الْوَسَنِ
 يَرْدُ أَنْفَاسَهُ كَرْنَا وَتَغْطِفُهَا
 يَدُ الْمَنِيَّةِ عَطَافُ الرِّيحِ لِلْغُصَنِ
 يَا هَوَى مَا أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتَ
 أَذْنِي فَلَا أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَلَا أَذْنِي
 لَمْ يَقِنْ مِنْ بَذْنِي جُزْءَةَ عَلِفْتَ بِهِ
 إِلَّا وَقَدْ خَلَهُ جُزْءَةَ مِنَ الْحَزَنِ
 كَانَ الْلَّحَاقُ بِهِ أَهْنَا وَأَخْسَنَ بِي
 مِنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ السَّرْوَحِ وَالْبَدْنِ.

(١) الغمر: الكثير.

ابن الرومي

هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جُریج (٢٢١ هـ / ٨٣٥ مـ - ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ مـ). ولد في بغداد من أب رومي، وأم فارسية. أكبّ على تحصيل العلم حتى استقامت له ثقافة واسعة من لغة وأدب وفلسفة ودين. توالّت المحنّ عليه، فمات والده وهو حَدَثٌ، ومات أخوه في شبابه، ومات أبناءه الثلاثة، وماتت زوجته، والتهمت النيران بعض أملاكه، واغتصب الظلم البعض الآخر.

له ديوان ضخم من الشعر عالج فيه جميع الموضوعات الشائعة عند العرب. وفي الرثاء يندفّق ابن الرومي اندفاعاً لأنّه يرثي من يحبّ، ويرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتجمّع المتراكّم شديدة أيضاً. وكان يخاطب الميت في لهفة المحبّة ولوّعة الفراق، ويُسّكب نفسه عليه حسرة، ويُقصّل ما يعاينه من شقاء بعد فراقه، فيذكر آلامه، ووحشته، وسهره في ظلمات الليل، ودموعه المتتساقطة في غزارة وحرارة، ويدرك كيف مات الفقيد، وكيف زالت بالموت صفاتـه، فيتحسّر عليها تحسراً يكسر القلب، وقد يخاطب تلك الصفاتـ، ويتردّف عليها العبراتـ، والذي يقرأ شعره يحزن للشاعر وسوء حالـه أكثر مما يحزن للفقيد.

رثاء ابنه الثالث

أَبْنَيْ إِنْكَ وَالْعَزَاءِ، مَعَاً،
إِلَّا أَمْسِ لَفْ عَلَيْكُمَا كَفَنْ
تَالِلَّهِ، لَا تَنْفَكُ لِي شَجَنَاً،
يَمْضِي الزُّمَانُ، وَأَنْتَ لِي شَجَنْ
مَا أَضْبَحْتُ دُنْيَايَ لِي وَطَنَاً،
بَلْ حَيْثُ دَارَكَ، عِنْدِي الْوَطَنْ
مَا فِي النَّهَارِ، وَقَدْ فَقَدْتُكَ، بَنْ
أَنْسٍ، وَلَا فِي اللَّيلِ لِي سَكَنْ^(١)
وَلَقَدْ شَلَى الْقَلْبَ ذُكْرَتَهُ
أَنِّي بِأَنَّ الْقَاكَ مُرْتَهَنْ^(٢)
أَلَا دَنَا! أَتُمْ لَنَا فِتْنَا
وَتَفَارِقُونَ، فَاتَّمْ بِحَنْ^(٣)

رثاء ولده الأوسط

بِكَاؤُكُمَا يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي،
فَجُسُودًا، فَقَدْ أُوذَ نَظِيرُكُمَا عِنْدِي^(٤)
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَائِيَا وَرَمَيَهَا،
مِنَ الْقَوْمِ، حَبَّاتِ الْقُلُوبِ، عَلَى عَمَدِ

(١) السكن: الاستئناس.

(٢) ذكرته: أي تذكر القلب. مرتهن: مقيد.

(٣) الفتنة: موضوع إعجاب وحب شديد يبلغ الجنون.

(٤) بكاؤكمما: خطاب لعينيه.

شَوَّحِي حَمَامُ الْمَسْوَتِ أَوْسَطَ صَبَّتِي،
 فَلِلَّهِ، كَيْفَ أَخْتَارُ وَاسْطَةَ الْعِقدِ^(١)
 عَلَى حِينَ شِنْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ،
 وَأَنْتَ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةُ الرُّشْدِ^(٢)
 طَوَاهُ الرَّدَى عَنِي، فَأَضْحَى مَزَارَةً
 بَعِيدًا عَلَى قُربِ، قَرِيبًا عَلَى بَعْدِ
 لَقَدْ أَنْجَرْتُ فِيهِ الْمَنَابِأَ وَعَيْنَهَا،
 وَأَخْلَقْتُ الْأَمْالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
 لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّهِدِ لَيْثَةً،
 فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ، إِذْ ضُمَّ فِي اللَّهِدِ
 أَلْحَ عَلَيْهِ التَّرْزُقُ، حَسْنَ أَخْيَالَهُ
 إِلَى صَفَرَةِ الْجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٣)
 وَظَلَّ عَلَى الْأَبْدِيِّ تَسَاقِطُ نَفْسَهُ،
 وَتَذَوَّي كَمَا يَذَوَّي الْقَضِيبُ مِنْ الرَّنْدِ^(٤)
 فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقِطُ أَنْفَسًا
 تَسَاقِطُ ذِرَّ مِنْ نِظامٍ بِلَا عَقْدٍ
 عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ
 وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الْصَّلْدِ^(٥)

(١) وَاسْطَةُ الْعِقدِ: الْجَوْهَرَةُ الَّتِي فِي وَسْطِهِ.

(٢) شِنْتَ: رَأَيْتَ. أَنْتَ: نَظَرْتَ. الْآيَةُ: الْعَلَامَةُ.

(٣) الْجَادِيُّ: الزَّعْفَرَانُ.

(٤) يَذَوَّي: يَذَبَّلُ. الرَّنْدُ: شَجَرَ طَيْبَ الرَّائِحةِ.

(٥) يَنْفَطِرُ: يَنْشَقُ. الصَّلْدُ: الْصَّلْبُ.

وَمَا سَرَّنِي أَنْ يَغْتَثِهُ بِشَوَّابِهِ
 وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ
 وَلَا يَغْتَثِهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غَصِبَتْهُ
 وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمٍ الْحَوَادِثُ مِنْ مُفْدٍ^(١)
 وَلَيْسَ وَإِنْ مُتَيَّعْتُ بِإِلَيْسِيَّ بَعْدَهُ
 لَذَاكِرَهُ مَا حَنَّتِ النِّيْبُ فِي تَجْدِ^(٢)
 وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِعِ أَيْهَا
 فَقَدْنَا كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْفَقِدِ
 لِتُكَلِّمَ مَكَانًا لَا يَسْتَأْخِيلَهُ
 مَكَانًا أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ^(٣)
 هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَنْخَفِي مَكَانَةً
 أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
 لَعْمَرِي لَقْدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ فِيَا
 لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِي بَعْدِي
 ثَكِلْتُ شُرُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ
 وَأَضْبَحْتُ فِي لَذَاتِ غَيْشِي أَحَا رُفْدٍ^(٤)
 أَرْتَحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْخَشَأْ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِي

(١) المعدي: المعين.

(٢) النَّيْب: جَنَابُوهُ فِي النَّاقَةِ الْمُسْنَةِ.

(٣) الجزوع: الفاقد الصَّابِر.

(٤) ثكلت: فقدت.

سأنيك ماء العين ما أنسنت به
 وإن كانت السفنا من العين لا تجدي^(١)
 أعيني جودا لي فقد جئت للشري
 يائس مما تسلان من الرفدي^(٢)
 كائي ما أشتقت منك بضمها
 ولا شمه في ملعي لك أو مهدي
 الأم لما أبدي عليك من الأسى
 وإنني لأنحفي منك أضعاف ما أبدي
 محمد، ما شيء ترقص سلوة
 يقلبي إلا زاد قلبي من الوجود
 أرى أنحني الباقيين يكيلهما
 يكونان للأحران أوزى من الزند^(٣)
 إذا لعبا في ملعي لك لداعا
 فوادي يمثل النار عن غير ما قصد
 فما فيهما لي سلوة بل حرارة
 يهيجانها دوني وأشقى بها وخدلي
 وانت وإن أفردت في دار وخشبة
 فاني يدار الأنس في وخشبة الفرد
 عليك سلام الله مني تحية ومن
 كل غيث صادق البرزق والرغد

(١) أسعدت بالدموع: ساعدت.

(٢) الرفدي: الجود والمعطاء.

(٣) أوزى: أكثر إيقاداً وإشعالاً. الزند: حديدة من فولاذ تضرب بحجر صوان فينفتح النار.

الشريف الرّضي

هو أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩ هـ / ٩٧٠ مـ) - (٤٠٦ هـ / ١٠١٦ مـ). ولد في بغداد من أصل شريف يرتفع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. كان يطمح إلى الخلافة، ويُطمعه فيها الكاتب المشهور أبو إسحاق الصابي. تولى إمارة الحجَّ، وشهد مواسم العيد، وفيها النساء الواقفات من جميع البلدان. فحرَّك المشهد أوتار قلبه، فنظم قصائد شهيرة في الغزل العفيف عُرفت بالحجازيات.

ومات الصابي سنة ٣٨٤ هـ وكان رئيس الكتاب في ديوان الخليفة العباسية، وأحد المشهود لهم بحسن الرأي وبلغة الإنشاء. فرثاه الشريف الرضي بهذه القصيدة العامرة، وهي أكثر من ثمانين بيتاً، ثبت منها ما يلى :

أَعْلَمْتُ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الْأَغْوَادِ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلُ هَوَى لَوْخَرُ فِي الْبَخْرِ أَغْنَدَى .
مِنْ وَقْعِهِ مُشَابِعُ الْإِزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمْ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي التُّرْى
أَنَّ التُّرْى يَغْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

بَعْدًا لِتُؤمِّكَ فِي الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
 أَقْذَى الْعَيْنَ وَقَتُّ فِي الْأَعْصَادِ^(١)
 لَا يَنْفَدِدُ الدُّمْعُ الَّذِي يَبْكِي بِهِ
 إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُ مِنَ الْأَمَادِ
 أَغْزِرَ عَلَيَّ بِأَنْ يَفَارِقَ نَاظِرِي
 لِمَعْانِ ذَاكَ الْكَوْكِبِ السَّوَادِ
 أَغْزِرَ عَلَيَّ بِأَنْ تَرَكَتِ يَمْنِيلِ
 مُشَابِهِ الْأَمْجَادِ وَالْأَوْعَادِ^(٢)
 مَنْ لِلْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ إِنْ هَمَّ
 ذَاكَ الْغَمَامُ وَعَبَ ذَاكَ الْوَادِي^(٣)
 مَنْ لِلْمَمَالِكِ لَا يَرْزَالُ يَلْمُها
 يَسِدَادُ أَمْرِ ضَائِعٍ وَيَسِدَادُ
 إِنَّ الدُّمْعَ عَلَيْكَ غَيْرُ بَخِيلَةِ
 وَالْقَلْبُ بِالسُّلُوانِ غَيْرُ جَوَادِ
 سَوْدَتْ مَا بَيْنَ الْفَضَاءِ وَنَاظِرِي
 وَغَسَلَتْ مِنْ عَيْنِي كُلُّ سَوَادِ^(٤)
 مَاذَا الَّذِي حَبَسَ الْجَوَادَ عَنِ الْمَدِ
 مِنْ بَعْدِ سَبْقَتِهِ إِلَى الْأَمَادِ

(١) قَتْ فِي عَصْدَه: أَصْعَدَه.

(٢) أَيِّ الْقَبْرِ الَّذِي لَا فَرْقُ فِيهِ بَيْنَ الْأَمْجَادِ وَالْأَوْعَادِ.

(٣) إِذَا سَالَ خَمَامُ الْفَصَاحَةِ وَطَغَى وَادِيهَا.

(٤) أَيِّ مِنْ كُثْرَةِ الْبَكَاءِ.

مَاذَا الَّذِي فَجَعَ الْهَمَامَ بِوَتْهَةٍ
 وَعَدَا عَلَى دَمَهِ وَكَانَ الْعَادِي^(١)
 يَا لَيْتَ أَنِّي مَا افْتَنْتُكَ صَاحِبًا
 كَمْ قَنْيَةً جَلَبْتُ أَسْوَى لِفَوَادِي
 بَرْدُ الْقُلُوبِ بِمَنْ تُحِبُّ لِقَاءً
 مِمَّا يَجْرُ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ^(٢)
 لَا تَطْلُبِي يَا نَفْسُ خَلَّا بَعْدَهُ
 فَلَمْشَلَهُ أَعْيَا عَلَى الْمَرْتَادِ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَسْرَقِي وَغَشِيرِتِي
 فَلَأَنْتَ أَغْلَقْتُهُمْ يَدًا بِسُودَادِي
 ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ كُلُّهَا
 وَشَرَكَتْ أَصْبَقَهَا عَلَيَّ بِلَادِي
 لَكَ فِي الْحَشَاشِ قِبْرٌ وَإِنْ لَمْ تَلُو
 وَمِنَ التَّمَوْعِ رَوَابِحُ وَغَوَادِي
 مَا مَاتَ مِنْ جَعَلَ الزَّمَانَ لِسَانَهُ
 يَتَلَوْ مَنَاقِبَ عَوْدَا وَبِسَوَادِي^(٣)
 فَأَذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الرِّبَيعُ وَإِثْرَهُ
 بَاقٍ بِكُلِّ خَمَائِلٍ وَرِيجَادِ

(١) ما هذا الذي وثب على الهمام وغلبه وقد كان أبداً هو الغالب.

(٢) غبطة القلب بالمحبوب هي سبب الألم والحزن عند فراقه.

(٣) ما مات من يعيد الزمان دائمًا ذكرى مناقبه.

وَسَقَاكَ فَضْلَكَ إِنَّهُ أَرَوَى حِجَّاً
مِنْ رَائِحَةِ مُتَعَرِّسٍ أَوْ غَادِ^(١)
جَدَّثَ - عَلَى أَنْ لَا نَبَاتَ بِأَرْضِهِ -
وَقَفَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُ السَّرَّادِ

(١) فَضْلَكَ أَرَوَى مِنَ السَّحَابِ الرَّائِحَةَ الْغَادِيَةَ .

أبو العلاء المعرّي

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان (٤٤٩ - ٩٧٣ هـ / ١٠٥٧ م) شاعر فيلسوف. ولد ومات في معهـ النعمـانـ. أصـيبـ بالـجـدرـيـ صـغـيرـاـ، فـعـمـيـ فـيـ السـنـةـ الـرـابـعـةـ مـنـ عـمـرـهـ، وـقـالـ الشـعـرـ وـهـوـ اـبـنـ إـحـدـىـ عـشـرـةـ سـنـةـ. لـهـ دـيـوـانـ شـعـرـيـ ضـخـمـ، وـعـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الـمـؤـلـفـاتـ. مـنـ أـشـهـرـ قـصـائـدـهـ تـلـكـ الـتـيـ رـثـيـ بـهـ صـدـيقـهـ الـفـقـيـهـ الشـاعـرـ أـبـوـ الـخـطـابـ محمدـ الجـبـلـيـ، قـالـ فـيـهـاـ (١):

غـيـرـ مـجـدـ فـيـ مـلـئـيـ وـاغـيـقـادـيـ
 نـوـحـ بـاـكـ لـاـ تـرـلـمـ شـادـ
 وـشـبـيـهـ صـوـتـ النـعـيـ إـذـ قـيـسـ
 بـصـوتـ الـبـشـيرـ فـيـ كـلـ نـادـ
 أـبـكـتـ تـلـكـمـ الـحـمـامـةـ أـمـ
 غـنـتـ عـلـىـ فـرـعـ غـضـبـهاـ الـمـيـادـ
 صـاحـ هـنـيـ قـبـورـنـاـ تـمـتلـأـ الرـحـبـ
 فـلـائـنـ الـقـبـورـ مـنـ عـهـدـ عـادـ
 تـحـفـ السـوـطـةـ مـاـ أـظـنـ أـدـيمـ الـ
 أـرـضـ إـلـاـ مـنـ هـلـيـ الـأـجـسـادـ

(١) فـيـ الـقصـيـدةـ عـلـدـ مـنـ الـأـيـاتـ الـمـدـوـرـةـ.

وَقِيمَتُ بَنَاءٍ وَإِنْ قَدِمَ الْعَهْدُ
 هَوَانُ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ
 سِرْ إِنْ أَسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويدًا
 لَا اخْتِلَالٌ عَلَى رُفَاتِ الْعَبَادِ
 رَبُّ الْحَدِيدِ قَدْ صَارَ لَهُدًا مِرَارًا
 ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضَدَادِ
 وَدَفِينٌ عَلَى بَقَائِمَا دَفِينٌ
 فِي طَوْبِلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ
 فَاسْأَلِ الْفَرَقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحْسَا
 مِنْ قَبْلٍ وَأَنْسًا مِنْ بَلَادٍ^(١)
 كَمْ أَقَامَتْ عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ
 وَأَنَّسَارًا لِمُذْلِلِجٍ فِي سَوَادِ
 تَغْبَتْ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبَ
 إِلَّا مِنْ رَاهِبٍ فِي ازْدِيَادِ
 إِنْ حُزْنًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَصْعَا
 فُسُورٌ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
 خُلِقَ النَّاسُ لِلِّبَقاءِ فَضَلَّتْ
 أُمَّةٌ يَخْسِبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
 إِنَّمَا يُنْقَلِّوْنَ مِنْ دَارِ أَعْمَاءٍ
 لِمِنْسَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ

* * *

(١) أَسْأَلَ هَذِينَ الْكَوَكَبَيْنِ عَمَّا عَرَفَاهُ وَشَهَدَاهُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ.

أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعَدَنَا أَوْ
 عَذْنَ قَلِيلٍ الْعَزَاءُ بِالْإِسْعَادِ^(١)
 إِيَّاهُ لَهُ دَرْكُنَ فَأَتَسْتَرُ الدَّ
 سُوَاتِي تُحْسِنُ حِفْظَ السُّودَادِ
 مَا نَسِيَنَ هَالَكَا فِي الْأَوَانِ الْخَالِ
 أَوْدَى مِنْ قَبْلِ هُنْكِ إِيَّاهِ^(٢)
 بَيْهَدَ أَنِّي لَا أَرْتَضِي مَا فَعَدَ
 شُنْ وَأَطْوَافُكَنَ فِي الْأَجِيَادِ
 فَتَسْلِيَنَ وَاسْتَغْرِيَنَ جَمِيعًا
 مِنْ قَمِصِ الْذُجَى ثِيَابَ جِدَادِ
 ثُمَّ غَرَدَنَ فِي الْمَاتِمِ وَانْدَبَنَ
 يُشْجِيَ مَعَ الغَوَانِي الْخِرَادِ

* * *

قَصَدَ الدُّهْرُ مِنْ أَبِي حِمْزَةَ الْأَوَا
 بِ مَوْلَى جَحْنَ وَخَدْنَ افْتَصَادِ^(٣)
 أَنْفَقَ الْعُمَرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ الْعَدَ
 مَ بَكْشِفُ عنْ أَصْلِهِ وَاتْقَادِ
 ذَا بَسَانِ لَا تَلْمَسُ اللَّهَبَ
 الْأَخْرَرُ زَهَدًا فِي الْعَسْجِدِ الْمُسْتَفَادِ^(٤)

* * *

(١) بنات الهديل: الحمام. واسعدن أي ساعدن.

(٢) إشارة إلى أن الحمام لا تزال وفية تبكي هديلها الذي هلك سابقاً.

(٣) أي إصابة الدهر وكان صاحب عقل وصلاح.

(٤) المسجد: الذهب.

وَدُعَا إِلَيْهَا الْحَقِيقَيَّاتِ ذَاكَ الشَّخْصُ
 إِنَّ السَّوْدَاغَ أَيْسَرُ زَادَ
 وَأَغْبَسَةً بِالثَّمْغَ إِنْ كَانَ طَهْرًا
 وَأَذْفَنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْفُؤَادِ
 وَأَخْبَوَهُ الْأَنْفَهَانَ مِنْ وَرَقِ
 الْمُضْخَفِ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَهْرَادِ
 وَأَشْلَوَ النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَالْتُّ
 سِيمَحِ لَا بِالنُّحِيبِ وَالْتَّعْمَادِ
 أَسْفَتْ غَيْرَ نَافِعٍ وَاجْتَهَادِ
 لَا يَؤْدِي إِلَى غَنَاءِ اجْتَهَادِ
 طَالِمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى
 الْحُزْنَ إِلَى غَيْرِ لَاقِي بِالسَّدَادِ
 مُثْلِمَا فَاتَتِ الصَّلَاةُ سَلِيمَانَ
 فَأَنْجَحَى عَلَى رِقَابِ الْجِيَادِ
 وَهُوَ مَنْ سُخْرَتْ لَهُ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُونُ
 بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ(١)

* * *

كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلْكَ بَعْدِي
 يَا جَدِيرًا مَنِ يُخْسِنُ افْتِنَادِ
 قَدْ أَقْرَرَ الطَّيِّبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ
 وَتَقْضِي تُرَدُّدُ الْمُؤَادِ

(١) صاد: سورة في القرآن . ويقصد بهذا البيت وما قبله أن الحزن قد يخرج الإنسان عن صوابه كما فعل النبي سليمان من ضرب الخيل لما عرضت عليه فاشتغل بها حتى فاته الصلاة . وهو الذي شهد له في سورة «ص»، إذ قيل {مسخرنا له الريح} الآية .

وانتهى اليأس بِنُكَ وامتنعَ التَّوْجِيدُ
 بِأَنَّ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادَ^(١)
 هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِتَهُ
 سَرِيرَنِ وَفَيْحَ لِأَغْيَنِ الْهُجَاجِ
 كُنْتَ جَلَ الصُّبَابَ فَلَمَّا أَرَادَ
 الْبَيْنَ وَاقْتَطَرَ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ^(٢)
 وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوَّلِ
 لِمَنْ شَيْمَةَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 وَخَلَقْتَ الشُّبَابَ غَضَّاً فِيَا
 لَيْلَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الْأَنْدَادِ
 فَادْهَبَاهَا خَيْرَ ذَاهِبَينَ حَقِيقَةً
 بَيْنَ بَسْفِيَا زَوَافِحَ وَغَوَادِ
 وَمِراثِ لَوْ أَنْهَنَ دُمُوعَ
 لَمَحْنَوْنَ السُّطُورَ فِي الْإِنْشَادِ

* * *

رُحْلٌ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ دارًا
 مِنْ لِقَاءِ الرُّدَى عَلَى مِيعَادِ
 وَلَنَارُ التَّرَيْخِ مِنْ حَدَثَانِ الدُّفَرِ
 مُطْبِقٌ وَإِنْ عَلِمْتَ فِي اتْقَادِ
 وَالشُّرَى رَهِينَةً بِاُفْتِرَاقِ الشُّمَلِ
 حَسْنٌ تُفْدَ فِي الْإِفْرَادِ

(١) المَعَادُ الثَّانِيَةُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(٢) الضمير في «أراد» يرجع إلى الصبا.

كُلُّ بَيْتٍ لِلَّهَمْ مَا تَبَقَّى إِلَّا وَرْقَاءُ^(١)
 وَالسَّيْدُ الرَّفِيعُ الْعَمَادُ
 وَالْفَتَنُ ظَاعِنُ وَيَخْفِي وَظِلُّ السُّدُرُ
 ضَرَبَ الْأَطْنَابُ وَالْأَوْتَادُ^(٢)
 بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَأَخْتَلَ النَّاسُ
 فَدَاعَ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
 وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرَيْرِيَّ فِيهِ
 حَيَوانٌ مُشَخَّصٌ مِنْ جِمَادٍ
 وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرُ
 يَكُونُ مَصِيرَةً لِلْفَسَادِ

* * *

(١) الورقاء: الحمامنة.

(٢) أي إنَّ الْأَنْسَانَ رَاحَلَ يَغْنِيهِ ظِلُّ السُّدُرُ (وَهُوَ شَجَرُ النَّبْقِ) عَنْ أَنْ يَبْنِي الْمَنَازِلَ، أَيْ إِنَّهُ قَلِيلَ
الْإِقْامَةِ فِي الدُّنْيَا فَيَجِبُ أَنْ لَا يَهْتَمَ بِهَا.

المتنبي

هو شاعر عصره، بل شاعر العرب جمِيعاً على مر العصور، أحمد بن الحسين بن الحسن (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م - ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م). قضى حياته متقللاً من أمير إلى آخر، يمدح هذا ويهجو ذاك، لكنَّ أكثر إقامته كانت في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب. اشتهر بالشعر الحكمي، والمدح، والهجاء، والرثاء.

وفي رثائه يقف المتنبي من الموت موقف الحكيم، ويقف من المائت موقف التعظيم والتجليل، ويقف من آل الفقيه موقف المادح، ويقف من نفسه موقف الذكرى والألم النفسي، فرثاؤه «ليس رثاء التفجع والانهيار والضعف، ولا رثاء من يبكي ويذرُّ دموعاً، وإنما هو رثاء الشاوم، والتألم، والتأمل، ورثاؤه لمن يحبّ هو رثاء الثورة النفسية، والانفجار النشائي، والصراخات المدوية التي تهزّ الكيان، وتزعزع الإنسان».

رثاء أم سيف الدولة

نَعْدُ الْمَشْرَقَيْةَ وَالْعَوَالِيَّ

وَنَقْتَلُّنَا الْمَنُونُ بِهِلَّا قِتَالٍ^(١)

(١) المشرقية: السيف. العوالى: الرماح. المنون: الموت.

وَنَرْتِبُ السُّوَايَقَ مُقْرَبَاتٍ
 وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبْرِ الْبَالِ^(١)
 وَمَنْ لَمْ يَعْشِ الدُّنْيَا قَدِيمًا
 وَلَكُنْ لَا سَيْلَ إِلَى الرِّوْصَادِ
 تَصْبِيكَ فِي حَيَايِكَ مِنْ خَبِيرٍ
 تَصْبِيكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ
 رَمَانِي السَّهْرُ بِسَالَرْزَاءِ حَتَّى
 فُؤَادِي فِي غَشَاءِ مِنْ نَبَالٍ
 فَصَرَّتُ إِذَا أَصَابَتِي بِسَهَامٍ
 تَكْسَرَتِ النُّصَالُ عَلَى النُّصَالِ^(٢)
 وَهَانَ، فَمَا أُبَالِي بِالسَّرْزَايَا
 لَأَنِّي مَا اتَّفَقْتُ بِأَنْ أُبَالِي
 وَهَذَا أُولُو النُّعَمَى طُرَا
 لِأَوْلَرِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
 كَانَ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجُعْ بِنَفْسٍ
 وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالٍ
 صَلَّةُ اللَّهِ خَالِقَنَا حَنْوَطٌ
 عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفُنِ بِالْجَمَالِ^(٣)

(١) السُّوَايَقُ: كرام الخيل. المقربات: المدنة من البيوت، إما لغرض الحاجة إليها أو للغضّ بها. الخبب: نوع من العدو. يقول: ونرتّب الخيل الكريمة، ومع ذلك لا تنجيمنا من سعي الْبَالِ.

(٢) النُّصَالُ: ح نصل، وهي الحديدية التي في رأسها السهم.

(٣) يدعولها بأن تكون رحمة الله عليها كالحنوط للميت.

على المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَنَوْنَا
 وَقَبْلَ الْمَحْدِ في حَرَمِ الْخَلَالِ^(١)
 فَإِنَّ لَهُ يَسْطِينُ الْأَرْضَ شَخْصًا
 جَدِيدًا ذَكْرَنَاهُ وَفَسَوْ بَالِي^(٢)
 وَمَا أَخَذَ يُخْلَدُ فِي الْبَرَائَا
 بَلْ الَّذِي تَوَلَّ إِلَى زَوَالِ
 أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكِ مُتْ مَوْتَى
 تَمْثُلُهُ الْبَوَاقِي وَالْخَوَالِي
 وَرَأَتِ وَلَمْ تَرِي يَوْمًا كَرِيهًأ
 شَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالسَّرْوَالِ
 رَوَاقُ الْعِزْ خَوْلِكِ مُشَبِّطِرُ
 وَمَلْكُ عَلَيْ أَتْبِكِ فِي كَمَالِ^(٣)
 سَقَى مَشْوَاكِ غَادِ فِي الْغَوَادِي
 نَظَيرُ نَوَالِ كَفْكِ فِي النَّوَالِ
 أَسَافِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلُّ مَجْدِ
 وَمَا عَهْدِي بِمَجْدِ عَنْكِ خَالِي
 يَمْسُرُ بِقَبْرِكِ الْعَافِي فَيَبْكِي^(٤)
 وَيَشْغُلُهُ الْبَكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ^(٥)

(١) يقول إنها كانت مدفونة بالصون وكرم الخلال قبل أن تُدفن في الترب والمحد.

(٢) يقول: إنَّ شَخْصَهُ وَإِنْ كَانَ يَبْلُو فِي الْقَبْرِ إِلَّا أَنْ ذَكْرَنَا إِيَاهُ سَيْقَنَ أَبْدَا.

(٣) مُشَبِّطِر: مُمْتَدٌ.

(٤) العافي: طالب المعرفة.

وما أَفْدَاكِ لِلْجَنْوَى عَلَيْهِ
 لَوْ أَنِّكَ تَقْدِيرِينَ عَلَى فَعَالٍ
 يُعِيشُكَ هَلْ سَلَوتْ فِيَانْ قَلْبِي
 فَإِنْ جَاءَتْ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي
 نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ
 بَعْدَتْ عَنِ النُّعَامِ وَالشَّمَالِ
 حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُرْزِنِ فِيهِ
 كَحْوُمُ السُّرُّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ
 وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْأَوَاتِي
 تُعْدُ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْجَهَالِ
 وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارِ
 يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ^(١)
 مَشَى الْأُمْرَاءُ حَوْلَهَا حَفَاءً
 كَانُ الْمَرْوَى مِنْ زِفَ الرِّئَالِ^(٢)
 وَابْرَأَتِ الْخُلُورُ مُخَبَّاتٍ
 يَضْعَنَ النَّقْسَ أَمْكَنَةُ الْغَوَالِي^(٣)

(١) يقول في هذين البيتين: ليست كالنساء التي يُعْدُ لها القبر ستراً، فهي مصنوعة مستورة ولم تكن من نساء السوق يتبع جنازتها تجاري وباعية ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر.

(٢) المرو: حجارة الصوان: زفت: صفار الريش. الرئال: ولد النعام.

(٣) النقس: هنا السواد. الغوالى: ج غالبة وهي نوع من الطيب. يقول: خرجت لموتها نساء كمن مُخَبَّاتٍ.

ولَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمْ فَقَدْنَا
 لَفْضُلِتِ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ
 وَمَا التَّأْيِثُ لِإِسْمِ الشَّمْسِ غَيْرُ
 وَلَا السَّدِيقُ فَخَرَ لِلْهِلَالِ
 وَأَفْجَحُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا
 قَبْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ
 يُسْدِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَغْشِي
 أَوْاخْرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِيِّ
 وَكُمْ عَيْنٌ مُّقْبِلَةُ النَّوَاحِي
 كَجِيلٍ بِالْجَنَادِلِ وَالرُّمَالِ^(۱)
 وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبِ
 وَبَالِ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهَزَالِ
 أَسْيَفُ السُّلْوَلَةِ اسْتِجَذَ بِصَبَرٍ
 وَكَيْفَ يُمْثِلُ صَبَرَكَ لِلْجَمَالِ
 فَائِتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعْزِيِّ
 وَخَوْضَنَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ
 وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَقِّيَّ
 وَحَالَكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ
 فَلَا غَيْضَتِ بِحَارِكَ يَا جَمُومًا
 عَلَى عَلَى الْغَرَابِ وَالدُّخَالِ^(۲)

(۱) الجنادل: ج جندلة وهي الحجارة. يقول: كم عين كانت عزيزة، فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة.

(۲) غيضت: نقضت. الجموم: الكثير. علل: الشرب الثاني أو تباعاً. الغرائب: ج غريبة وهي التي ترد إلى الحوض. الدخال: أن يدخل بغير قد شرب بين بغيرين لم يشربا. يقول: لا =

رأيتك في الذين أرى ملوكاً
 كأنك مستقيم في محالٍ^(١)
 فإن تفتق الأنام وأنت منهم
 فإن المسك بعض دم الغزال^(٢)

* * *

وقال يرثي أبي شجاع فاتكاً، وقد توفي بمصر سنة خمسين وثلاثمائة،
 وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر:

الحزن يقلق والتجمل يردع
 والدموع ينهمما عصي طيق^(٣)
 يتنازعان دموع عين مسهد
 هذا يجيء بها وهذا يرجع^(٤)
 النوم يعد أبي شجاع نافر
 والليل يغوي والكتواب يطلع^(٥)

= نقضت بحارك يا بحراً كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغربية وشربت منه.

(١) يقول: أنت بين الملوك كالمستقيم بين المعوج.

(٢) يقول: إن فضلت الناس وأنت واحد منهم، فلا عجب، إذ قد يفضل بعض الشيء جملته، كالمسك، وهو بعض دم الغزال، يفضل الغزال كله.

(٣) يقول: الحزن لأجل العصبية يقلقني، والتجمل - تكلف الصبر - يعني عن التهالك والجزع، والدموع بين الحالين عاص لذى التجمل فيحبس مطيناً للقلق فينسكب ويذاك بعض صاحبه تارة ويطيعه أخرى.

(٤) عني بالمسهد - أي الكثير السهاد، الممنوع عنه النوم - نفسه. يقول: الحزن والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أو يجريها والتجمل يردها.

(٥) يقول: النوم بعد أبي شجاع لا يالف العين: أي لا تناهى العيون بهذه حزناً عليه، والليل يطول فلا ينقضي، كأنه قد أعيها عن المشي - كل من التعب - فانتقطع، والكتواب يطلع - كالعربي - لا تقدر أن تقطم الفلك فتغرب. يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم

إِنِّي لَأُجْزِئُ مِنْ فِرَاقِ أَحَبِّي
 وَتُحِسْ نَقْبَسِي بِالْحَمَامِ فَأَشْجُعُ^(١)
 وَيَزِيدُنِي غَضْبُ الْأَعْدَادِي قُسْوَةً
 وَتَلِيمُ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَخْرَجَ^(٢)
 تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
 عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُشَوَّقُ^(٣)
 وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
 وَيُسُومُهَا طَلَبُ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٤)

= على قلبه. وعبارة ابن جني: لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأنّر فيهما موته. وقال الخطيب: إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل مع الكواكب ظلم ما تسير. يريد طول الليل للحزن.

(١) الحمام: الموت. يقول: أنا جبان عند فراق الأحبة أخاف خوف الجبناء وأشجع عند الموت في ميدان الوضى فلا أهابه. يعني أن الفراق أعظم خطباً عنده من الموت كما قال أبو تمام:

جَلِيدٌ عَلَى عَتْبِ الْمُخْطُوبِ إِذَا عَرَتْ

وَلَسْتُ عَلَى عَتْبِ الْأَخْلَاءِ بِالْجَلِيدِ

(٢) يقول: إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله، كما قال أشجع السلمي:

يُعْطِي زَمَانَ الطَّوْعِ إِخْرَانَهُ

وَسَلْسُولِي بِالْمَلِكِ الْقَابِرِ

ويقصد: فإن المستني يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند المواتنة والملانية، وشدته عند المباطلة والمقاومة.

(٣) قوله عما مضى: متعلق بناقل، ويتوقع: يتطرق. يقول: إنما تصفو الحياة لجهال لا يدرك أحوالها ومصائرها، أو غافل عما ماضى فيها من العبر وما يتطرق في العاقد من انقضائها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالاً، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصارييفها فإنها لا تصفو له.

(٤) يسومها: يكلّفها، يعني بالحقائق: ما لا شك فيه للعامل، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، والإنسان فيها على خطير عظيم، وأن الحياة، ثانية فمن غالط في هذا نفسه =

أَينُ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنيَانِهِ
مَا قَوْمٌ مَا يَؤْمِنُ مَا الْمَصْرَعُ^(١)

تَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
جِينًا وَيَسْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبَعَ^(٢)

لَمْ يُرَضِ قَلْبُ أَبِي شَجَاعٍ مَتَّلِعٌ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسْعَهُ مَوْضِعُ^(٣)

كُنَّا نَسْطُنُ دِيَارَةً مَسْمُلَوَةً
ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ^(٤)

== ومنها السلامه والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر في العاقيب، وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامه مع نيل المراد، فطمعت في ذلك.

(١) الهرمان: هما الهرم الأكبر الأوسط - وهو معرفون. يقول أين من بناهما؟ وأين قومه؟ ومتى كان يوم موته؟ وكيف كان مصرعه؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما وأندرس ذكره وذكر قومه، فما يعرفون ولا يعرف بأي ميتة هلك، ولا في أي وقت لطول عمر الدهر عليه. يريد أن الدنيا مقنعة لأهلها متكرة على من اغتر بها، وأن الفتاه حتم في رقاب العباد، وأن الجميع صارون إلى الفتاه. عبارة العكبري: قوله أين الذي الهرمان من بنائه: استدل بيناهما على تمكّنه، وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته، أي أين هو وقوته؟ وأين قومه وكثرةهم؟ وأين عددهم وعددهم؟ أما حفت الدنيا آثار ملكه وأفنته؟ أما فرق شمله وشنته؟ أما في بطن الأرض غيبته؟.

(٢) يقول: إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدلّ على تمكّنهم وقوتهم وسلطتهم ثم ينالها ما نالهم من الفتاه فتذهب كما ذهب أصحابها، وهذه شنونة الدنيا مع أهلها، والمعهود من تصاريفها.

(٣) يقول: إنه - بعد مرتفق همة - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في العلا حتى يطلب ما فوقه، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنّه لا يشبع طموحة.

(٤) البلقع: الخالي. يقول: كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال، فلما مات لم يختلف مالاً لأنّه كان جواداً معطاه.

وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
وَبَنَاتُ أَغْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ وَيَجْمَعُ^(١)
الْمَجْدُ الْخَسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفَقَةٌ
مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٢)
وَالنَّاسُ أُنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مُنْزِلًا
مِنْ تُعَايِشُهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ^(٣)
بَرْدَ حَشَائِي إِنْ آسْتَطَعْتَ بِلِفْظَةٍ
فَلَقَدْ تَضَرَّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ^(٤)

(١) يقول: وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيل، أما الذهب فلا، لأنه كان يفرقه بالعطاء، بنات أهوج: يعني الخيل؟ وأهوج: فحل مشهور من خيل العرب، تنسب إليه الخيل الأعوجية، قيل سمع بذلك لأن غارة وقعت على أصحابه ليلاً وكان مهراً، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من القارة، فاعتُرِجَ ظهره وبقي فيه الهرج، فلُقب بالأعوج.

(٢) الأروع: الذكي الفؤاد. يقول: إن المجد والمكارم أخسر صفة وأنقض حظاً من أن يعيش لها هذا المرثي، يعني أنها شقت للذهاب من كان يحفظها ويجمع شملها وقال المكبيري - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفة: إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفة اختل، لأنك تفصل بالمكان بين أخسر وبين صفة، وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز، لأن صفة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول، إلا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجهاً، ولكن لك أن تصيره إلى وجه آخر، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر؟ فإن عطفته على الضمير الذي فيه لم يكن أحنياً منه، فلا يعد فصلاً بينه وبين صفة، فيصير نحو قولك. مررت برجل أكل وعمرو خنز، يعطف عمرو على الضمير في، أكل، ونصب خنزياً بأكل..

(٣) يقول: إن الناس في زمانك أقل قدرًا من أن تكون بينهم تحالطهم وتعاشرهم، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان.

(٤) يقول: كلّمني كلمة وأسمعني منك لفظة إنْ قدرت عليها، ليسكن ما في قلبي من لوعة الحزن، فلقد كنت في حياتك تضر - إذا شاء - أعداءك، وتُنفع أولياءك، أو فانقعني بكلامك.

ما كان منك إلى خليل قبلها
 ما يستر اب به ولا ما يوجع^(١)
 ولقد أراك وما تعلم ملمة
 إلا نفاتها عنك قلب أضمع^(٢)
 وقد كان قتالها وسؤالها
 فرض يتحقق عليك وهو تبرع^(٣)
 يا من يسئل كل يوم حلة
 أني رضيتك بحلا لا تشزع^(٤)
 ما زلت تخليها على من شاءها
 حتى لست أبى ما لا تخلي
 ما زلت تدفع كل أمر فادح
 حتى أني الأمر الذي لا يدفع^(٥)

(١) يقال استراب به: أي رأى منه ما يريده؟ أي يفلقه. يقول: لم يكن منك إلى أخلاقك قبل هذه المرة: أي قبل أن تفعلاهم بنفسك: ما يريدهم منك أو يوجههم، فلما فقدت أو جعلت قلوبهم وأبكيت عيونهم.

(٢) الأضمع: الذي الحاد، قوله وما تلم: حال. يقول: كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكي.

(٣) يقول: ونفاتها عنك يد شنستها [اعطاء الاوليات وقتل الاعداء حتى تكون النوال والقتال والعجبان عليها، وهو تبرع ولا وجوب.

(٤) يريد: يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً... إذا يخلع الملبوس على من يقصده - كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلي؟ يعني الكفن - والحلة: اللباس من ثوبين - إزار ورداء - ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين.

(٥) الفادح: الذي يثقل حمله، وفي هذا المعنى يقول الحمامي:

ذئمنا يسلك الأيام حيث إذا أنت
ترسلك لم تستطع لها عنك مدفعا

فَظَلَّتْ تُنْظَرُ لَا رِمَاحَكَ شَرَعْ
 فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سَيُوفُكَ قُطْعَ (١)
 يَأْيِي الْوَجِيدُ وَجِيشُهُ مُتَكَاثِرٌ ·
 يَبْكِي وَمِنْ شَرِ السُّلَاحِ الْأَفْعَمَ (٢)
 وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السُّلَاحِ عَلَى الْبَكَاءِ
 فَخَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدْكَ تَقْرَعَ (٣)

(١) عراك: أصحابك وزملوكك، وشرع الرمح: بسط اليدين به وسلحة. يقول: ظللت - ألمت - تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيفوك في دفع ما نزل بك، إذ لا مدفع للموت.

(٢) يأيي: تقدية. قوله وجيشه متکاثر: حال من ضمير الوحدة، ومتکاثر: خبر أول لجيشه، ويبكي: خبر ثان. يقول: إنه - مع كثرة جيشه - كان وحيداً مع الانصار، فلم يكن لجيشه غناه فيما نزل به غير البكاء، ولا علة غير النسوع، مع أن الدروع من شر الأسلحة، لأنها تضرّ أصحابها ولا تغني شيئاً عند المصيبة. وقد فسر هذا في البيت التالي.

(٣) رغت: أفرعت وأخفت، وتقرع: تضرب. يقول: إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غنا في الكباء، إنما تروع به القلب وتقرع به الخد. أي أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً.

رثاء محمد بن بقية

عندما انتصر عضد الدولة على ابن عمه عز الدولة، قتل محمد بن بقية وزير عز الدولة صليباً، فرثاه أبو الحسن الأنباري بهذه القصيدة التي لاقت شهرة واسعة حتى إن عضد الدولة لما وقف عليها، قال: لقد تمنيت أن أكون أنا المصلوب، وتكون هذه القصيدة في .

غَلُوْ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ
لَحَقَّ بِتُلْكَ إِخْدَى الْمُفْجِزَاتِ

كَانَ النَّاسُ حَوْلَكَ جِينَ قَامُوا
وَفُؤُدَ نَذَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ

كَانَكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً
وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ

مَسَدَّدَتْ يَدَيَكَ نَخْوَفُمْ أَخْتِفَاءَ
كَمْلَهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَابِِ

وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ غَنْ أَنْ
يَضْمَمْ عَلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاءِ

أصاروا الجَرْوَ قُبْرَكَ وَاشْتَعَاضُوا
عَنِ الْأَخْفَانِ ثُوبَ النَّافِيَاتِ
لِعَظِيمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيتَ تَرْعَى
بِحُرَاسٍ وَحُفَاظٍ ثَقَاتِ
وَسُوقَدَ حَوْلَكَ الشَّيْرَانُ لَيْلًا
كَذِيلَكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْخَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدَ
عَلَاهَا فِي السَّرَّينِ الْمَاضِيَاتِ
وَتَلَكَ قَضِيَّةً فِيهَا شَأْسُ
تُبَاعِدُ عَنَّكَ تَغْيِيرَ الْعُدَاءِ
وَلَمْ أَرْ قَبْلَ جَذْعَكَ قَطُّ جَذْعًا
تَمَكَّنَ مِنْ عَنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
أَسْلَتَ إِلَى النَّوَابِ فَأَشَثَّ شَارِثَ
فَأَنْتَ قَتِيلُ نَارِ النَّافِيَاتِ
وَكُنْتَ لِمَغْشَرِ سَفَدًا فَلَمَّا
مَهَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْجَسَاتِ
غَلِيلَ بَاطِئَ لَكَ فِي فُؤَادِي
يُخْفَفُ بِالْأَمْوَعِ الْجَارِيَاتِ
وَلَزَ أَنِي قَدِيزْتُ عَلَى قِيَامِ
بِفَرْضِكَ وَالْحَقْوِ الْوَاجِبَاتِ

صلاتُ الأرضِ مِنْ نَظَمِ القوافي
وَنَسْخَتْ بِهَا خِلَافُ النَّائِحَاتِ
وَلَكَنِي أَصْبَرُ عَنْكَ نَفْسِي
مُخَافَةً أَنْ أَعُدُّ مِنَ الْجُنَاحَةِ
وَمَا لَكَ تَرِيَةً فَأَقُولُ تُنْقِي
لَا لَكَ نَضْبُطُ فَمُظْلِلُ الْمَاطِلَاتِ
عَلَيْكَ تَعْيَيْةُ الرَّحْمَنِ تُشْرِي
بِرَحْمَمَاتِ غَوَادِ رَائِحَاتِ

علي بن محمد
التهامي

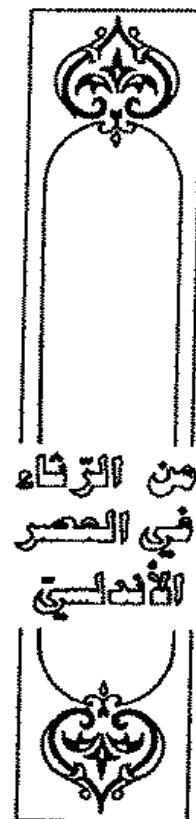
لأبي الحسن علي بن محمد التهامي. وهو شاعر لطيف النظم، توفى قتلاً في سجن مصر سنة ٤١٦ هـ، وكان قد وصل إليها في مهمة سياسية خطيرة. وهذه المرأة في ولده مات صغيراً، وهي مشهورة بحسنها وروعتها، تجمع بين الحزن، والحكم، والفخر، وتزيد أبياتها على الثمانين نقتصر منها على هذه النخبة:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارِ
 مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِسَارِ فَرَارِ
 يَا كَوْكَبِيْ ما كَانَ أَفْصَرَ عُمْرَةَ
 وَكَذَاكَ عُمْرُ كِواكِبِ الْأَنْهَارِ
 وَهَلَالِ أَيَّامِ مَضَى لَمْ يَنْشِئْ
 بِسَارِاً وَلَمْ يَنْهَلْ بِسَوقَتِ سَرَارِ^(١)
 غَجَلَ الْخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ
 قَمَحَاهُ قَبْلَ مَظْنَةِ الْأَبْدَارِ
 وَأَشْتَلَ مِنْ أَثْرَابِهِ وَلِدَائِهِ
كَالْمُقْلَةِ أَشْتَلَتْ مِنْ الْأَشْفَارِ

(١) وقت السرار: آخر ليلة في الشهر.

فكأن قلبي قبرة وكيانه
 في طييه يسر من الأسرار
 أبكيه ثم أقول مغتداً له
 وفقت حين تركت الأم دار
 جاوزت أغدائى وجاؤز زيه
 شتان بين جواوه وجواوى
 أخفى من البرحاء ناراً مثل ما
 يخفي من النار الزناد السوارى
 وأخفق الرزرات وهي صواعده
 وأكفيف الغبرات وهي جوار
 وشهاب نار الحزن إن طاوغته
 أوزى وإن عاصنه متسوارى
 وأكفت نيران الآسى ولرئما
 غلب التضليل فازلت بشرار
 ثوب الرياء يشفع عما تخنته
 وإذا الشحفت به فائك عار
 قصرت جفوني أم تباغد بينها
 أم صورت عيني بلا اشفار
 أخي الليالي التسم وهي تميتنى
 وتميثنى تبلغ الانحراف
 وطري من اللثيا الشباب وزرقة
 فإذا أنقضى فقد انقضت أوطاري

قُصْرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاهُ
عِنْدِي وَلَا آلَوْهُ يَقْصَارِ
نَزَدَادُ هَمَّا كُلُّمَا أَرَدْنَا غَنِيَ
وَالْفَقْرُ كُلُّ الْفَقْرِ فِي الإِكْشَارِ
مَا زَادَ فَسُوقَ الرِّزَادِ خُلُفَ ضَائِعًا
فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ
إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِي لِخَرَّ مَا
ضَمِنْتَ صَدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ



أبو البقاء الرُّندي

هو صالح بن شريف الرُّندي، نسبة إلى رُندة في جنوب الأندلس.
شاعر أندلسي متاخر من أبناء القرن التاسع الهجري. اشتهر بقصيدته السائرة
في رثاء الأندلس.

رثاء الأندلس

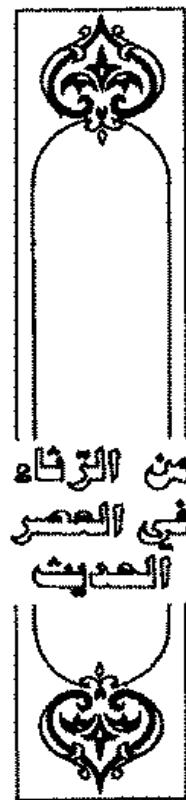
يُكْلِلُ شَيْءٌ وَ إِذَا مَا تَمَّ تَفَضَّلَ
 فَلَا يُغَرِّ بِطِيبِ الْغَيْشِ إِنْسَانٌ
 هِيَ الْأَمْوَارُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولَّ
 مَنْ سَرَّهُ زَمْنٌ سَاهَنَهُ أَزْمَانٌ
 وَقَلِيلُ الدَّارِ لَا تَبْقِي عَلَى أَحَدٍ
 وَلَا يَدُومُ عَلَى خَالِدٍ لَهَا شَانٌ
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا تَبَرَّدُ لَهُ
 حَتَّى تَضَوا، فَكَانَ الْقَوْمُ مَا كَانُوا
 وَضَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ
 كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيفِ وَسَنَانٌ

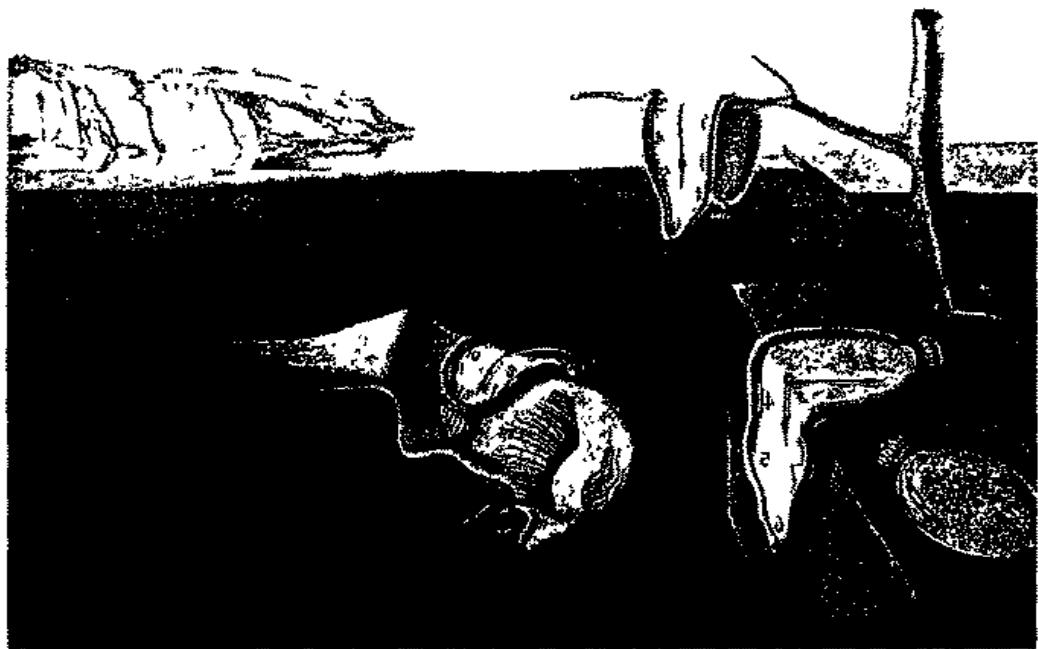
فجائع الْدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُّنْوَعَةٌ
 وللْمُؤْمَنِ مَسَرُّاتٌ وَأَخْرَانُ
 وللْمُحْوَادِثِ سَلْوَانٌ يُسْهَلُهَا
 وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سَلْوَانٌ
 دَهْرِ الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
 هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنْهَى نَهْلَانُ^(۱)
 تَبْكِي الْخَنِيفَيْهُ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفٍ
 كَمَا يَبْكِي لِفَرَاقِ الْأَلْفِ هَيْمَانُ
 عَلَى دِيَارِهِ مِنِ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٌ
 قَدْ أَفْرَطَتْ وَلَهَا بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ
 يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ^(۲)
 تَلْكَ الْمُصَيْبَةُ أَنْتَ مَا تَقْدِمُهَا
 وَمَا لَهَا مِنْ طَوَالِ الدَّهْرِ نَشَانُ
 يَا رَاكِبِينَ عِنَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةٌ
 كَانَهَا فِي مَجَالِ السَّبِقِ عَقْبَانُ
 وَحَامِلِينَ سَيِّفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةٌ
 كَانَهَا فِي ظَلَامِ الْقَعْ نِيرَانُ
 وَرَائِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعْيَةٍ
 لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانٌ

(۱) أحد ونهلان: جبلان.

(۲) السنة: الغفلة.

أَهْنَدُكُمْ تَبَا مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسِ
 فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُجْبَانُ
 كُمْ يَسْتَغْيِثُ بِنَا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ
 قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُ إِنْسَانٌ
 مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ يَتَكَبَّرُ
 وَأَشْتُمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَوْنَ
 أَلَا نَفْوَسَ أَبِيَّاتٍ لَهَا هَمْمَ
 أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَغْوَانُ
 يَا مَنْ لِذَلْلَةٍ قَوْمٌ بَعْدَ عِزْهِمْ
 أَحَالَ حَالَهُمْ جَحْوَرٌ وَطُغْيَانٌ
 بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
 وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفَّرِ عَبْدَانُ
 وَلَئِنْ رَأَيْتَ بِكَاهْمٍ عَنْدَ بَيْعِهِمْ
 لَهَاكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَنَكَ أَخْرَانُ
 لِيَمْلِأَ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمْدٍ
 إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ

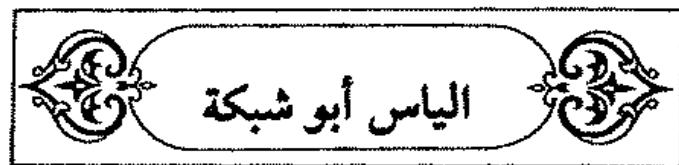




سلفادور دالي
ـ إلتحاج الذاكرة ـ ١٩٣١

هذه اللوحة لسلفادور دالي ، وفيها يت amphib الوقت ، وتسيل الساعات وتتمتد على بقلبا شبه إنسانية وغضون يابسة مكعبات : أو يحتاج النمل الأسود الأكل ، ساعة مقلوبة على الوقت .

بينما يبدو الأفق الشاحب الغرائبي ، وكأنه عالم آخر أبدى لا يتنبئ إلى الوقت الإنساني ، في تناقض مع القلق والسلام والتشوب والهلاك ، وكلها مترافقه مع مرور الوقت في ذاكرة الإنسان الحاجة .



أديب لبناني (1903 - 1947 م) ولد في نيويورك، وعاش في لبنان. عشق الطبيعة، ووقف إلى جانب الإنسان كان من البناء المجددين، وأروع ما عنده المزج البديع بين الإنسان والطبيعة. له آثار شعرية ونثرية، منها «أفاعي الفردوس»، و«غلواء»، و«الرسوم».

من أشهر قصائده في الرثاء قصيده «الحجر الحي» تلك التي قالها في فوزي المعلوم الذي توفي في البرازيل، وأقيم له تمثال نصفي أثبته فوق نصب تذكاري في ساحة بلدية زحلة (لبنان) مدحه الأم.

ومن هذه القصيدة:

أطيق جناحيك مغنوداً لك الظفر
 فقد وصلت وشوط^(١) المجد مختصر
 ما خسر وذكرك أن تأتيه منطبقاً
 ما دام قلبك في جنبيه يستعمر^(٢)
 أتيته في النحاس الحي طيبة
 عليه من روحك الأغراث والسرر

(١) الشوط: المرحلة.

(٢) يستعمر: يشتعل.

عَيْنَاكَ فِي الْحَجَرِ الْمُصْبُوبِ سَاهِرَةٌ
يَقْطَانَةٌ فِيهَا أَهْلَامُكَ الْغُرَّ^(۱)

* * *

لِيَرَانُ عَيْنَكَ فِي عَيْنَكَ إِنْ مَرَدَتْ^(۲)
هُوَحُ الدُّجَى فَعَلَى عَيْنَكَ تَنْصَهِرُ
مَهْمَا طَغَى اللَّيلُ لَا تُشْفِيكَ رَوْيَةٌ
وَلَا تَجْهَمُ فِي أَجْفَانِكَ الْخَوْرُ

* * *

يَقْطَانُ وَالنَّاسُ غَنِيٌّ فِي مَرَاقِيدِهِمْ
سَيَّانٌ نَامُوا عَلَى ذَلِّ أَمْ احْتَفِرُوا
عَازٌ عَلَيْنَا نَسَامُ السَّلَيلَ هَائِفَةٌ
عَيْوَنُنَا وَعَيْبَابُ اللَّيلِ مُغَنَّكِرٌ
وَتَشَهِّدُ الصُّبْحُ عَرْسُ الصُّبْحِ مُنْعَذِداً
عَلَى جَبَينِكَ نُورٌ مِنْهُ يَنْضَفِرُ
وَلَا يَمْلِكُ لَكَ ثُرْجَى مِنْ مَوَادِهَا
الْعَطْرُ وَالنُّورُ وَالْأَسْحَانُ وَالْمُضَوْرُ

* * *

تَشَهِّدُ بَحْفَنَبِكَ رَوْيَا لَا قَرَازٌ لَهَا
كَائِنَا الْغَيْبُ فِي عَيْنَكَ مُنْخَصِّرٌ

(۱) الغر: البهنة.

(۲) مردات: عصبة.

عَيْنُ الْعَظِيمِ خَمِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
مَرَّ الْجَحِيمُ وَلَمْ يَطْرُفْ لَهَا بَصَرٌ
مُنْذُ ابْنِ مَرِيمَ وَالْأَكْفَانُ هَاوِيَةٌ
عَنِ النُّبُوْغِ وَصَخْرُ الْقَبْرِ مُنْحَدِرٌ
كَمْ فِي بِلَادِكَ مِنْ نَفْسٍ تَوَدُّ عَلَى
وَقَاحِ عُورَتِهَا أَنْ تُسْدِلَ السُّتُورُ

* * *

أَبَا الشُّسُورِ، سَقَيْتَ الْمَوْتَ خَمْرَتَهُ ،
فَصَلَبْتَكَ الْمُضْطَفَى لِلْخَلْدِ مُنْخَرِ
مَا ضَرَّ نَشَرَكَ لَمْ يَعْقِبْ وَقَدْ نَسَّتْ
مِنْهُ النُّجُومُ، فَفَزُوزِي وَحْدَهُ أَنْتُ
وَرْبُّ حَيٍّ غَدَا فِي قَوْمِيْ حَجَراً
وَرْبُّ مَيْتٍ غَدَا حَيَا بِهِ الْحَجَرُ

مصطفي المفلوطى

أديب مصرى (١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م - ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م) نابغة في الإنشاء والأدب. انفرد بأسلوب نقى في مقالاته وكتبه. وله شعر جيد فيه رقة وعذوبة. من مؤلفاته «النظارات»، و«في سبيل الناج»، و«ال عبرات»، و«المجدولين».

ومن رثائه ثبت قوله في رثائه ابنه.

١ - الآن تقضت يدي من تراب قبرك يا بني ، وعدت إلى متربى ، كما
يعود القائد المنكير من ساحة الحرب ، لا أميك إلا دمعة ، لا أستطيع
إرسالها ، وزفة لا أستطيع تصعيدها ، ذلك لأن الله الذي كتب لي في لوح
مقادير^(١) هذا الشقاء في أمرك ، فرزقني بك قبل أن أسأله إلياك ، ثم اختطفك
قبل أن استغفري^(٢) منك ، قد أراد أن يتمم قضاءه فيك ، وأن يجرعني الكأس
حتى ثمايتها^(٣) ، فله الحمد راضياً غاضباً ، وله الثناء منعماً وسالياً ، وله مني

(١) لوح المقادير: إيمان ديني بأن الله يضع لكل إنسان حين يولد لوحًا يكتب عليه سيرة حياته الدنيا والمصائب التي تنزل به.

(٢) استغفري: أطلب منه العفو عن تكليفه.

(٣) الثماطة: البقية الباقية في الكأس.

ما يشاء من الرضا بقضاءه، والصبر على بلائه.

٢ - رأيتك يابني في فراشك علياً فجزعت^(١)، ثم خفت عليك الموت ففزعت، وكأنما كان يخيل إلى أن الموت والحياة شأن من شؤون الناس، وعمل من الأعمال التي تملّكها أيديهم، وأنتشرت الطيبة في أمرك، فكتب لي الدواء، ووعدني بالشفاء، فجلست بجانبك أصب في فمك ذلك السائل الأصفر قطرة قطرة، والقدر يتزرع من جنبيك الحياة قطعة قطعة، حتى نظرت، فإذا أنت بين يدي جثة باردة لا حراك بها، وإذا قارورة الدواء ما تزال في يدي فعلمت أنني قد تكللت، وأن الأمر أمر القضاء لا أمر الدواء! لقد كان خيراً لي ولك يابني أن أكل^(٢) إلى الله أمرك في شفائك ومرضيك، وحياتك، ومورتك . . .

٣ - ما أسمج^(٣) وجه الحياة من يعدك يابني! وما أقبح صورة هذه الكائنات في نظري! وما أشد ظلمة البيت الذي أشكته بعد فراقك إياها! فلقد كنت تطلع في أرجائه شمساً مشرقة تُضيء لي كل شيء فيه، أما اليوم فلا ترى عيني بما حولي، أكثر مما ترى عينك الآن في ظلمات قبرك. بكى الباكون والباكيات عليك ما شاغروا، وتفجعوا، حتى إذا ضعفت قواهم عناحتمال أكثر مما احتملوا، لجأوا إلى مصاصيهم، فسكنوا إليها، ولم يبق ساهراً، في ظلمة هذا الليل، وسكونه، غير عينين قريحتين^(٤): عين أبيك

(١) جزعت: خفت.

(٢) أكل: أسلم إلى الله.

(٣) ما أسمج: ما أقبح.

(٤) قريحتين: جريحتين.

الناكل المسكين، وعين أخرى أنت تعلمها... .

٤ - دفنتك اليوم يا بني، ودفنت أخاك من قبلك، ودفنت من قبلكما
آخر يكما، ليلاً إليه لقلب قد لاتى فوق ما تلaci القلوب، وأحتمل فوق ما
تحتيم من فوادح الخطوب! لماذا ذهبتم يا بني بعدما جئتم؟ ولماذا جئتم
إن كُنتم تعلمون أنكم لا تقيمون؟... .

صلاح لبكي

أديب لبناني، كان شاعراً وناثراً ورجل صحافة وبلاغة.
وُلد في البرازيل سنة ١٩٠٦، ثم انتقل، طفلاً، مع أبيه، إلى لبنان،
حيث حصل قسطاً وافراً من المعارف.
«عاش حياته كلها - كاتباً، شاعراً، صحفياً، ومحامياً على الدروة».
هو شاعر مبدع، أحب الجمال، وعبر عنه في شعر أضيقى عليه جمالية
الألفاظ، وجمالية المعانى، وجمالية السياق.
هو شاعر إنساني مثالى، نبضت العاطفة الإنسانية في كل لفظة من
الفاظه، وفي كل لفته من لفاته. توفي سنة ١٩٥٥.
من آثاره: «مواعيد» و«أرجوحة القمر» و«من أعماق الجبل».
مناسبة القصيدة: عندما توفي الشيخ إبراهيم اليازجي رثاء خليل مطران
بقصيدة رائعة مطلعها:
*رب البيان وسيد القلم
وفيت قسطك للعلى قنم*
وعندما توفي شاعر الأقطار العربية خليل مطران رثاء شعراء كثيرون،
وحدث أن أقامت الكلية الشرقية بزحلة مهرجاناً لذكرى وفاته، فأنشد الشاعر

الكبير صلاح لبكي القصيدة التالية رأياً ومعارضاً قصيدة للمتنبي في رثاء والدة سيف الدولة أمير حلب.

رَمْتُكِ بِمَا تُعِدُّ لَنَا الْيَالِي،
فَهَذَا الشُّجُوْ(١) مِنْ ذَاكَ الْوِصَالِ(٢)
وَمَا أَبْكِيكَ مَيْتَا، كُلُّ باقِ
تَمَنَّى أَنْ يَكُونَكَ فِي الْمَالِ(٣)
وَقَدْ كُنْتَ الضَّيَا عَلَى زَوَالِ،
فَأَمْسَيْتَ الضَّيَا بِلَا زَوَالِ
مُخْلِمٌ كُلَّ أَغْنِيَةٍ حَنِيمَاً
وَهَذِي الْوِزْدَ في سُبْلِ الْغَوَالِيِّ(٤)
لِمَنْ تُضْغِي إِذَا اشْتَبَهَتْ ظُنُونُ(٥)
وَقَدْ سَكَتَ أَبْنُ نَاصِيَةَ الْمَقَالِ(٦)
أَتَيْتَ الشُّغَرَ وَفَوْ عَلَى هُزَالِ
إِلَّا طَانَ سَبَقْنَ إِلَى أَنْجَالِ
فَرُخْتَ تَصْوَعَ أَشْتَاثَ الْمَعَانِي
وَيَغْصِمُكَ الْطَّمْوُخُ مِنَ الْفُضَالِ.

(١) الشُّجُوْ: الهم والحزن.

(٢) الْوِصَالِ: ضد الْهَجَرِ.

(٣) الْمَالِ: المصير، يقول: كل باق تمنى أن يكون ميتاً فادياً لِيَاكَ بِحَيَاةِهِ.

(٤) سُبْلِ الْغَوَالِيِّ: الطرق التي تؤدي إلى فرائد الأفكار.

(٥) إِذَا اشْتَبَهَتْ ظُنُونُ: أي إذا لم تظهر الحقيقة، ووقعنا في ظنون مختلفة.

(٦) أَبْنُ نَاصِيَةَ الْمَقَالِ: أي كما قال خليل مطران «رب البيان وسيد القلم».

وَتَبَشِّي، فَالْقَصِيدَةُ بِغَلَبَكَ،
 وَكَانَتْ قَبْلُ أَبْيَاتِ الْجِنَالِ
 لَقَدْ جَاءَتْ أَبْكَارَ الْأَوَاتِي^(١)
 عَلَى مَهْلِكٍ، وَإِسْدَاعِ الْأَوَالِي^(٢)
 فَلَمْ يَغْرِزْكَ ضَغْبُ فِي مَجَالِ،
 وَلَا أَغْوَاكَ شَهْلَ فِي مَجَالِ
 كَانَ الْحُسْنَ أَسْلَمَ كُلُّ بِرٌّ
 إِلَيْكَ، فَصِرْتَ مَوْضِعَ السُّؤَالِ
 نَعَى لِبَنَائِ، يَوْمَ نَعِيشَ، غَفَلَأَ
 تَرَسَّلَ^(٣) لِلْحَقِيقَةِ وَالْجَمَالِ
 نَعَى الْقَلْبَ الَّذِي غَمَرَ الْبَرَابِا
 حَنَانًا غَيْرَ مُنْقَطِعِ النُّوَالِ^(٤)
 نَعَى الْخُلُقَ الْحَصَانَ^(٥)، نَعَى السَّجَابِا
 نَعَى الْقَلْبَ الْمَنَاقِبِ وَالْخَلَالِ^(٦)
 نَعَى الْأَوْقَسِ مَوَاثِيقَاً وَغَنَهَا،
 وَلَزَ كَرُ الرَّزْمَانُ بِغَيْرِ حَالِ

(١) جاوزت أبكار الأواني: أي أنك سبقت الآتين بعده إلى المبتكرات.

(٢) الأولى: أي الذين سبقوك ولا سيما الأقدمين منهم.

(٣) ترسّل: أي مال ميلاً شديداً.

(٤) النوال: العطاء.

(٥) المخلق الحصان: أي المصون.

(٦) الخلايا والسعاديا والمناقب: الصفات الخلقية الكريمة.

نَعْيَ الْأَدَابِ، عِلْمًا وَأَخْتِشَامًا،
وَذَاكَ الصُّرُغُ فِي ذَاكَ الْجَلَالِ
أَخَا الْهِمَمِ الْكِبَارِ، سَطَعَتْ فِينَا
أَبَا لِلْعَبْنَقَرِيَّاتِ الصَّقَارِ
لَئِنْ تَكُنِ الْمَنِيَّةُ جُلُّ فَضْلٍ
فَقَدْ وَفَنَتْ قَنْطَكَ لِلْمَعَالِي
وَحْقُّ لَكَ الرُّقَادُ، وَأَنْتَ طِفْلٌ
تَخْطُّى السَّاِيقَيْنَ إِلَى الْكَمالِ

الأخطل الصغير

هو بشارة بن عبد الله الخوري (١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث. مولده ووفاته في بيروت. أنشأ جريدة «البرق»، وعمل في الصحافة طول حياته. له ديوانان شعريان، هما الهوى والشباب، و«شعر الأخطل الصغير». من أهم قصائده في الرثاء تلك التي قالها في رثاء سعد زغلول التالية، ومشتت بعدها القصيدة الشهيرة التي قالها في الاحتفال الذي أقيم في حلب تكريماً لشاعرها الخالد أبي الطيب المتنبي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته.

قالوا: ذَهَتْ مِصْرَ دُعْيَاةٌ. فَقُلْتُ لَهُمْ:
 هَلْ غَيْضَ النَّيلُ أَمْ هَلْ رُلْزِلَ الْهَرَمُ؟
 قالوا: أَشْدُ وَأَدْهَى. قُلْتُ: وَتَحْكُمُ
 إِذَا، لَقَدْ ماتَ سَعْدٌ، وَأَنْطَوْيَ الْعَلَمُ!

* * *

لَمْ لَا تَقُولُونَ: إِنَّ الْغَربَ قَاطِنَةٌ
 تَيَّمِّمَا، كَانَ رُغْلُوْنَ أَبَا لَهُمْ؟
 لَمْ لَا تَقُولُونَ: إِنَّ الْغَربَ مُضطَرِّبٌ
 لَمْ لَا تَقُولُونَ: إِنَّ الشَّرْقَ مُضطَرِّمٌ؟

عَلَزْتُكُمْ، كَانَ مِنَ الْكَوْنِ صَاحِبُكُمْ
فَكَيْفَ تَمَلأُ أَذْنَ السَّامِعِ الْكَلِمُ؟
لِلصَّمْتِ أَلْبَغَ مِنْهَا، وَهُوَ مُشَحِّنٌ
وَالدُّمْعُ أَفْعَلُ مِنْهَا، وَهُوَ مُشَحِّنٌ

* * *

جَاهَ النَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ، فَمَا لَمْ يَأْمُرُوا
وَجَاهَ سَعْدٌ، فَشَمَلَ الشَّرْقَ مُلْتَقِيمٌ
الْقَاتِلُ الْحَقُّ لَا تَشَنِّ أَعْتَدَهُ
وَالْوَاحِدُ الْفَرَدُ فِي أَوَابِهِ أَمْ
لَطْفُ الْمَسِيعِ مُذَابٌ فِي مَحَاجِرِهِ
وَعَزْمُ أَخْمَدَ فِي جَنَّتِهِ يَخْتَدِمُ
صَلَى عَلَيْهِ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ
وَالْمُسْلِمُونَ سَعَوا لِلْقَبْرِ، وَأَسْتَلَمُوا

* * *

الْمُؤْمِنُونَ يُسْعِدُونَ، أَيْنَ أُنْصِرُهُمْ
وَالْمُعْجَبُونَ يُسْعِدُونَ، أَيْنَ أَيْنَ هُمْ؟
أَفْرِي الطَّيَالِسَ عَنْهُمْ لَا أَشَاهِدُهُمْ
أَبْرِي الْقَلَائِسَ عَنْهُمْ لَا أَجِسِّهُمْ
وَأَسْأَلُ الْحَفَلَ عَنْهُمْ لَا يُجَاوِينِي
كَانُوكُمَا الْحَفَلُ فِي آذَانِهِ صَمَمُ

* * *

تلى شهذتهم والنفع مغترب
 والحق مطلب والغدر مبتغي
 ورابة الوطن الغالي نظمهم
 كأنها حضنت أفرادها الرُّحْم^(١)
 روح تسيل على القرطاس إن خطبوا
 وقد تسيل على القرصاب إن قحموا^(٢)
 مصر وليس بيرو مصر لهم أرب
 إن شق يشقوا وإن تنعم فقد نعموا

* * *

رجال مصر شفيعي إن عبئكم
 أن المحب لذئبكم ليس بهم
 أني أخاف عليكم في تحريكم
 أن تنصروا الخصم وهو الخصم والحكم
 تخاصمون على ضعيف، وخصومكم
 وهو القوي، عليكم ليس يختص
 توحدوا باسم مصر في تجدهما
 وطالعوا ثغر مصر كيف يشتم
 سعد أرادكم جلفاً - فلا قسمت
 أجزاءكم - حب مصر ليس ينقسم

(١) الرُّحْم: طائر من الجوارح يشبه النسر.

(٢) القرصاب: السيف الباتر. قحموا: قطعوا.

يسروا - بكل أخني دنيا لبيانه^(١)
 حتى إذا ما ربحتم مصر، فاقتسموا
 تاريخ مصر ولود، ما انتهى شتم
 إلا إليه، وحابى نفسه الشتم
 أم الحضارة، بل مجلل أشياعها
 يوم الحضارة لم تعلق بها رجم
 تقهرت دونها الأيام واجفة
 فهي الشباب، وتلك الشيب والهرم

* * *

من مبلغ مصر عنا ما نكايد
 إن الغرورة فيما يبتنا فتم
 ركنا للضاد، لم تقطنم عرى لهما
 هم نحن إن رزقت يوماً ونحن هم

* * *

وقال بمناسبة الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة المتنبي:
 نكتب عنك العلى والظرف والأدبا
 وإن خلقت لها - إن لم ترز خلبا
 شهباء تو كانت الأحلام كأس طل
 في راحة الفجر كفت الزمر والحبها
 أو كان للليل أن يختار جلية
 وقد طلعت عليه، لا الشهباء

(١) اللبانة: الحاجة.

لَوْ أَنْصَفَ الْعَرَبُ الْأَخْرَارَ نَهْضَتْهُمْ
 لَشَيْدُوا لَكَ فِي سَاحَاتِهَا النُّصَبَا
 لَكِنْ خَلَقَتْ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُذَرِّكُهُ
 مَنْ يَعْشَى الدُّلُّ أَوْ مَنْ يَغْبُدُ الرُّبَّا

* * *

مَلَاعِبُ الصَّيْدِ مِنْ حَمْدَانَ، مَا تَشْلُوا
 إِلَّا الْأَهْلَةَ وَالْأَشْبَابَ وَالْقُصْبَا
 الْمَحَالِعِينَ عَلَى الْأَوْطَانِ يَهْجَجُهَا
 وَالرَّافِعِينَ عَلَى أَرْمَاجِهَا الْقَصْبَا
 حُسَامُهُمْ مَا نَبَّا فِي وَجْهِهِ مَنْ ضَرَبُوا
 وَمُهْرَهُمْ مَا تَكَبَّا فِي إِثْرِهِ مَنْ هَرَبَا
 مَا جَرَدَ الدَّهْرُ سَيْفًا مِثْلَ «سَيْفِهِمْ»
 يَجْرِي بِهِ الدَّمُ أَوْ يَجْرِي بِهِ الدَّهْبَا
 رَبُّ الْقَوَافِي عَلَى الْإِطْلَاقِ شَاهِرُهُمْ
 الْخَلْدُ وَالْمَجْدُ فِي آفَاقِهِ اضْطَبَخَا
 سَيْفَانِ فِي قَبْضَةِ الشَّهَباءِ لَا ثُلْمًا
 قَدْ شَرَفَا الْعَرَبَ بِلْ قَدْ شَرَفَا الْأَدْبَا

* * *

عَرْسٌ مِنَ الْجَنِّ فِي الصَّخْرَاءِ قَدْ نَصَبُوا
 لَهُ السَّرَادِقَ ثَعْتَ اللَّيلَ وَالْقَيْمَا
 كَانَهُ تَذَمَّرَ الزَّهْرَاءَ مَارِجَةً
 يُمْثِلُ لَسْنَ الْأَفَاعِي تَقْلِيفَ الْهَبَا

أو هضبة من خرافات مرقطة
 يأغين من لظى أو من رؤوس ظبي
 تخاصر الجن فيها بعد ما سكروا
 ويعد ما اختدمت أوتارهم صخبا
 فافزع الرمل ما زفوا وما عزفوا
 فطار يستجد القیمان والكتبا
 تكشف الصیح عن طفل وماردة
 له على صدرها زار إذا غصبا
 كانه الزبئ الرخراج في يدها
 أو خفقة البرق إما اهتز وأضطربا
 نادى أبوه - عظيم الجن - عترته،
 فأقبلوا يتذرون البدعة العجبا
 ماذا نسميه؟... قال البعض: صاعقة
 فقال: كلأ... فقالوا: عاصفاً - فابى
 فقام كالطود منهم مارد ليس
 وقال: لم تتعصروه أبداً ولا لقباً
 ستبث الفتنة الكبرى على يديه
 فتشغل الناس والأقلام والكتبا
 وتجعل الشعر ريا يسجدون له
 فإن غروا فلقد بتنا به الأربا

وَأَخْتَالَ غَيْرَ قَلِيلٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
 سَمِّيَّةُ الْمُتَنَبِّي... ... فَانْشَوَ طَرِيبًا
 وَذَلِكُوا الْبِدَّ حَتَّى كَادَ سَالِكُهَا
 يَهُوي بِهِ الرُّخْلُ لَا يَذْرِي لَهُ سَيْلاً
 يَسْرِي السُّرَابَ غَبَابًا هَاجَ زَاجِرَةً
 وَالرَّفْلَ يَلْتَحِفُ الْأَرْهَارَ وَالْغُثْبَا

* * *

إِيمَّهُ أَخَا الْوَقْرَةِ السُّودَاوَ كُمْ مَلِكٍ
 أَعْاضَكَ التَّاجَ مِنْهَا، لَوْبِهَا اغْتَصَبَا
 طَلَبَتِ بِالشَّغْرِ دُونَ الشَّغْرِ مَرْتَبَةً
 فَشَاءَ رَئِسُكَ أَنْ لَا تُذْرِكَ الظُّلْبَا
 إِذْنَ لَأْشَكَلَتِ أُمُّ الشَّغْرِ وَاحْدَهَا
 وَعُطَلَ الْوَكْرُ لَا شَنُوا وَلَا زَغَبَا
 لَوْلَا طَمَاحُكَ مَا غَنِيَتْ قَافِيَةً
 بِسَوَاتِهَا الشَّمْسُ، أَوْ قَلَّذَهَا الْحَقَبَا
 «خُذْ مَا تَسْرَأَ وَقَعْ شَيْئًا خَلَمْتَ بِهِ»
 فَرُبِّ جَلْمِ جَمِيلٍ أَوْرَثَ الْعَطَبَا

* * *

أَبَا الْفُتوحَاتِ لَمْ تُزِجِ الْخَمِيسَ لَهَا
 وَلَا لَيْسَتِ إِلَيْهَا الْمِيَضُ وَالْيَلْبَا
 تَأْيِي الشُّخُومَ فَتَلْقَاهَا مَهْلَلَةً
 مِثْلَ الْمَرِيضِ أَتَاهَا بِالشُّفَاءِ نَبَا

ما الفتح أهدي إليك الرؤوف والسببا
 كالفتح جر عليك الرؤيل والحربا
 ولئن فتحت بحد السيف لانحطم
 بسجان قوم، حشروا الظلما والرهبا
 «ما كُلَّ مَا يَعْمَلُ الْمُرْءُ يُذْرِكُهُ»
 وَيُذْرِكُ الْغَايَةَ الْفَضْرَى وَمَا طَلَبَ
 قَدْ يُؤثِرُ الدُّفَرُ إِنْسَانًا فَيَخْرِمُهُ
 مَنْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ أَخْيَانًا فَقَدْ وَهَبَ
 بِمَا مُلِسَ الْجَحْمَةُ الْغَرَاءَ رَوَعَتْهَا
 حَتَّىٰ فَتَفَنَا: أَوْخِيَا قُلْتَ أَمْ أَدْبَا
 كَائِنًا هِيَ أَصْدَاءٌ يُرَدِّدُها
 هَذَا إِذَا بَثَ، أَوْ هَذَا إِذَا عَنَبَا
 قَالُوا اسْتَبَاحَ أَرْسَطُوا، حِينَ أَغْبَرَهُمْ،
 وَإِنَّهُ اسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ النُّكْبَا
 مهلاً، فَمَا الدُّفَرُ إِلَّا فَيَضُرُ فَلْسَفَةٌ
 يَعْوُدُ بِالدُّرُونَةِ كُلُّ مَنْ دَأْبَا
 مَنْ عَلِمَ أَنَّ أَبِي سُلَيْمَانَ «حَكِيمَة»
 وَقُلْنَ سَاعِلَةَ الْأَمْشَالِ وَالْخُطَبَا؟
 قَالُوا الْجَدِيدُ، فَقَلَّا: أَنْتَ حُجَّةٌ
 بِمَا وَاهِبًا كُلُّ غَصِيرٍ كُلُّ مَا خَلَبَا
 أَفِخْرَةَ لَمْ تَكُنْ فَتَفَتَ بِزَعْمَهَا
 وَجِلَّةَ لَمْ تَكُنْ أَنَا لَهَا وَأَبَا

بعض الجديد الذي يذعنونه أدباً
 يموت في يومه، هذا إذا وهم
 إن لم يكن لك حسن الوجه تفرضه
 فقد ظلمت به أوابك القشبا
 غدوا نبي القوافي، أي نايفية
 لم يزرعوا حوله البهتان والكذبة
 منفعت عنهم ضياء الشمس فانحجبوا
 فهل تلومهم إن مزقوا الحجابا
 أضرمت نورتك الهوجاء فالتهمت
 من القريض الهشيم الغث والخشب
 وغالب شغرك شغر الكاذبين له،
 لتفسيهم حفرت أيديهم التربا
 حتى رجفت وللأفلام مهللة
 في كف أبلغ من غنى ومن طربا...

* * *

يا خالقاً جيلاً، لولاك ما عرفت
 له الأواخر لا رأساً ولا ذبا
 غضبت للعقل أن يشقى فشرت له
 يمثل ما اندفع البركان وأضطجبا
 هل النبوة إلا نورة عصافت
 على التقاليد حتى تشحيل مقا
 ما ضر موقدها، والخلد منزلاً،
 إذا زمى نفسه في نارها خطبا...

حافظ إبراهيم

هو محمد حافظ إبراهيم (١٢٨٧ هـ / ١٨٧١ م - ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها تيفاً وربع قرن. لقب بشاعر النيل، وطار صيته، وانتشر شعره ونثره. كان قوي الحافظة، راوية، مرحًا، حاضر النكتة، بديع الإلقاء، كريم اليد في حاله بؤسه وشقائه. له ديوان شعري، وبعض المؤلفات التراثية.

من أهم قصائده في الهجاء قصيدةتان، قال الأولى منها في رثاء الشيخ محمد عبده، وقال الثانية في رثاء مصطفى كمال باشا، وفيما يلي نصهما:

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
سلام على الإسلام بعذَّ مُحَمَّدٌ
سلام على أيامِ النُّضُراتِ^(١)
على الدِّينِ والدُّنيَا، على العِلْمِ والِحِجا
على الْبِرِّ والتَّقْوَى، على الْحَسَنَاتِ
لقد كنتُ أَخْشَى عَادِيَ الْمَوْتِ قَبْلَه
فأَضَبَّخْتُ أَخْشَى أَنْ تَسْطُولَ حِيَاتِي

(١) النُّضُرات: فوات الحسن والرونق.

فوا لَهْفِي - وَالْقَبْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ -
 عَلَى نَظَرَةِ مَنْ تَلَكُمُ النُّظَرَاتِ^(١)
 وَقَفَتْ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا
 كَائِنِي جِيَالَ الْقَبْرِ فِي عَرَفَاتِ^(٢)
 لَقْدْ جَهَلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا
 تَجَالِيدَهُ فِي مُوجِشِ بَفَلَاهِ^(٣)
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأَنْزَلُوا
 بِخَيْرِ يَقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرَ رُفَاتِ^(٤)
 تَبَارَكَتْ هَذَا الدِّينُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ
 أَيْشَرَكَ فِي الدُّنْيَا بِخَيْرِ حَمَاءَ؟
 تَبَارَكَتْ هَذَا عَالَمُ الْشَّرْقِ قَدْ قَضَى
 وَلَانَّتْ قَنَّاَةُ الدِّينِ لِلْغَمَرَاتِ^(٥)
 زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطَأَهُ
 وَبَنْتَ وَلَمَّا نَجَّسَنِ الشَّمَرَاتِ^(٦)

(١) واللهفي: كلمة يتحسر بها على ما فات.

(٢) حاسر الرأس: عاريء، وحيال القبر: تلقاعه وأمامه.

(٣) تجاليد الإنسان: جسمه وبنائه، والفلaha: الصحراء الواسعة.

(٤) ضريح للميت: خفر له ضريحًا، ويريد «بالمسجدين»: المسجد الحرام بمكة، وبيت المقدس، ورفات الميت: ما يلي وتنكسر من عظامه، يقول: لو أنهم حضروا بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حريًا بذلك، لأنّه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض.

(٥) قضى: مات، والقنّاة: الرمح، ولبن القنّاة: كتابة عن الضعف والوهن، ويريد «بالغمّرات»: المطاعن الموجّهة إلى الإسلام من أعدائه.

(٦) شطأ الزرع: فراخه أو سنبلاه، وكُنْ بالزرع: عما قام به الفقيه من ضروب الإصلاح، وبنّت: بعثت.

فواهأ لَهُ أَلَا يُصِيبَ مُؤْفِقاً
 يُشَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ^(١)
 مَذَنْدَنَا إِلَى الْأَغْلَامِ بَعْدَكَ رَاخْنَا
 فَرَدَتْ إِلَى أَغْطَافِنَا صَفِيرَاتٍ^(٢)
 وَجَاءَتْ بَنَا تَبْغِي سِواكٌ عَيْوَنَا
 فَعَدَنَ وَأَشْرَنَ الْعَمَى شَرِقَاتٍ^(٣)
 وَآذَنَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكَرُوا
 مَكَانَكَ حَتَّى سَوَّدُوا الصُّفَحَاتِ^(٤)
 رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةَ
 وَرَخَتْ وَلَمْ تَهْمُمْ لَهُ بِشَكَاهٍ
 لَقْدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوْبَاسِيْ غَيَاهِ
 وَمَغْرِفَةً فِي أَنْفُسِنِ تَكْرَاتٍ^(٥)
 أَبْنَتْ لَنَا التَّشْزِيلَ حُكْمًا وَجِحْمَةً
 وَفَرَقْتَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَاتِ^(٦)

(١) الضمير في «له» يرجع إلى الزرع. ويشارقه: يشرف عليه. والأرض الموات: الجدبة التي لا تنبت. يخشى الأجد الزرع من يتعهد به بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها.

(٢) يزيد «بالأعلام»: المشهورين من العلماء. والراح: جمع راحة، وهي الكفت. والأعطاف: الخواص. وصفرات، أي خاليات.

(٣) شرفات: أي محمرات من البكاء.

(٤) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيد إليه، وينشرونهما في بعض الصحف تشهيراً به، وتحفيراً من شأنه.

(٥) الغياث: الظلمات.

(٦) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقاها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن.

وَرَفِقْتَ بَيْنَ الَّذِينَ وَالْعِلْمِ وَالْجَهَادِ
 فَأَطْلَقْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثٍ جَهَادٍ
 وَقَفْتَ (لِهَاوُشُو) وَ(رِينَانَ) وَقَفَةً
 أَمْلَأْتَ فِيهَا الرُّوحَ بِالنُّفَحَاتِ^(١)
 وَخَفَتْ مَقَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَرْقَدٍ
 فَخَاقَكَ أَهْلُ الشَّكْ وَالثَّرَعَاتِ^(٢)
 وَكُنْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الْفَجْرِ يَقْظَةً
 تَفَضَّلَتْ عَلَيْهَا لَلَّهُ الْهَجَعَاتِ^(٣)
 وَوَلَيْتَ شَطَرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِبًا
 تُسَاجِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ^(٤)
 وَكُمْ لَيْلَةً عَانِدَتْ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى
 وَتَبَهَّتْ فِيهَا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ^(٥)
 وَأَرَصَدَتْ لِلْبَاغِي عَلَى دِينِ أَخْمَدٍ
شَبَّاهَ يَرَاعَ سَاحِرُ النُّفَشَاتِ^(٦)

(١) هانوتون: جيرائيل هانوتون السياسي المؤرخ الفرنسي. ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام. ورينان: هو أرنست رينان الفرنسي، ولد في ١٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م، وقد كان قسًا كاثوليكيًا، وهو مشهور بمعانعه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق، وقد رد الفقيه على مطاعنهما. وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢ م. والروح: جبريل.

(٢) التزعات: الوساوس.

(٣) الإغفاء: النومة. (ونفضت عليها) الخ، أي أنه خلع على البقطة لللة الهجمة فصار يتلذذ من البقطة تلذذ الناس بالهجمة، أي النوم.

(٤) البيت: الكعبة.

(٥) الكرى: النوم. وصادق العزمات: من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي العزمة الصادقة.

(٦) أرصدت: أعددت وهيئات. واليراع: القلم. وشباهه: سمه. ونفثات القلم: ما يفيض به من كلمات تشبيهاً لها بما ينفعه الساحر في العقد.

إِذَا مَسَّ خَدُ الْطَّرْسِ فَاضَ جَبِيلُ
 بِأَسْطَارِ نُورٍ باهِرِ اللُّمَسَاتِ^(١)
 كَانَ قَرَازُ الْكَهْرَباءِ يُشَقَّ
 يُرِيعُ سَنَةً أَيْسَرَ اللُّمَسَاتِ^(٢)
 فِي سَنَةٍ مَرَرْتُ بِأَغْوَادِ نَعْيَهِ
 لِأَنَّتِ عَلَيْنَا أَشَاءُ السَّنَوَاتِ
 حَطَمْتُ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتُ مِنْبَرًا
 وَأَذْوَيْتُ رَوْضًا نَافِرَ الرَّهْرَاتِ^(٣)
 وَأَطْفَلْتُ نَيْرَاسًا وَأَشْغَلْتُ أَنْفَسًا
 عَلَى جَمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ^(٤)
 رَأَى فِي لَيَالِيكَ الْمُنْجَمُ مَا رَأَى
 فَأَنْذَرَنَا بِالْوَئِيلِ وَالْغَثَرَاتِ^(٥)
 وَنَبَأَهُ عِلْمُ النَّجُومِ بِحَادِثٍ
 تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُفْطِرَياتٍ
 رَمَى السُّرَطَانُ الْبَيْثُ، وَالْبَيْثُ خَادِيرٌ
 وَرَبُّ خَصْعَبِ نَافِلِ الرُّمَيَاتِ^(٦)

(١) الطرس (بالكس): الصحيفة التي يكتب فيها.

(٢) سناء: ضوء ونوره: يقول: كان الكهرباء مستقرة في شق هذا القلم، ف مجرد اللمس يظهر نوره.

(٣) حطم: كسرت. وأذويت: أذبلت.

(٤) النراس: المصباح.

(٥) يزيد (بالمنجم): أحد المنجمين، وكان قد تنبأ بوفاة الاستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها، وكتب ذلك في تقويمه السنوي.

(٦) رمى السلطان... الخ، إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان، وهو هذا الداء =

فَأَوْدَى بِهِ خَتْلًا فَمَالَ إِلَى الشَّرِي
 وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْخَرِفَاتٍ^(١)
 وَشَاعَتْ تَعَازِي الشَّهْبِ بِاللَّفْحِ بَيْنَهَا
 عَنِ النَّسِيرِ الْهَاوِي إِلَى الْفَلَوَاتِ
 مَشْنَى نَغْشَهُ يَخْتَالُ عَجْبًا بِرَبِّهِ
 رَسْخُطْرٌ بَيْنَ اللَّمْسِ وَالْقُبْلَاتِ^(٢)
 تَكَادُ اللَّمْوَعُ الْجَارِيَاتُ تُقْلِهُ
 وَتَذَفَّعُهُ الْأَنْفَاسُ مُشَتَّعِراتٍ^(٣)
 بَكَى الشَّرْقُ فَارْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَةً
 وَضَاقَتْ عَيْنُونَ الْكَوْنُ بِالْعَبَرَاتِ
 فَفِي الْهَنْدِ مَخْزُونٌ، وَفِي الصَّينِ جَانِعٌ
 وَفِي (يَمْرَنْ) بِالْكِبِّ دَائِمٌ الْحَسَرَاتِ
 وَفِي الشَّامِ مَقْبُوْعٌ، وَفِي الْفَرْسِ نَادِيبٌ
 وَفِي تُونِسٍ مَا شَيْشَتْ مِنْ زَفَرَاتِ
 بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمٌ عَضِيرٌ
 سِرَاجُ الدِّيَاجِيِّ هَادِمُ الشَّبَهَاتِ^(٤)

= المعروف. والليث خادر: أي والأسد في مجنته. ويطلق السرطان أيضاً على برج في السماء يقابل برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث. واستعمل الشطر الأول في المعنيين، كما يدل عليه سياق في الكلام في الآيات التالي.

(١) أودى به: ذهب به. والختل: الخداع. والأجرام: الأفلак.

(٢) رب: صاحبه.

(٣) تقله: تحمله. ومستعرات: مشتعلات من الحزن.

(٤) الدياجي: الظلمات.

مَلَادَ عَيَّايلِ، ثِمَالَ أَرَامِلِ
 غِيمَكَ دَوِيَ عُنْمَ إِمامَ هَدَاةٍ^(١)
 فَلَا تَتَصِّبُوا لِلنَّاسِ تَمَثَّلَ (عَبْدِه)
 وَإِنْ كَانَ ذَكْرِي جَحْمَةَ وَبَاتِ
 فَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَضْلُّوا فِيْوَمْشَا
 إِلَى ثُورِ هَذَا الرَّجَهِ بِالسُّجُودِانِ^(٢)
 فِيَا وَيْحَ لِلشُّورِيِّ إِذَا جَدَ جَدُّهَا
 وَطَاشَتْ بِهَا الْأَرَاهِ مُشَجِّرَاتِ^(٣)
 وَيَا وَيْحَ لِلْفَتَّيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟
 وَيَا وَيْحَ لِلخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
 بَكَيْنَا عَلَى فَرْدِ وَإِنْ بُكَاءَنَا
 عَلَى أَنْفُسِ لِلْمُنْقَطِعَاتِ
 تَعْهَدَهَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا
 بِإِحْسَانِهِ وَالدَّهَرِ غَيْرِ مُوَانِي^(٤)
 فِيَا مَنْزِلَا فِي (عَيْنِ شَمْسِ) أَظْلَنِي
 وَأَرَغَمَ حَسَادِيِّ وَغَمَ عَدَاتِي^(٥)

(١) المَلَادُ (بالفتح): الملجا. وَعَيَّايلُ: جمع عَيْلٍ (بتشديد الياء). وَعِيلُ الرَّجُلِ: من يتكلّل بهم ويسمونهم ويقوم عليهم. وَثِمَالُ الْأَرَامِلِ: من يقوم بأمرهن ويعينهن. وَالغَيَّاتُ: المغىث والمعين. والمعدم: الفقر.

(٢) يَوْمَشَا: يشيروا. وقد ردَ الشاعر بهذا البيت على ما افترجه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام.

(٣) يَرِيدُ (بِالشُّورِيِّ): مجلس شوري القوانين وكان الفقيد عضواً به. وَطَاشَتْ: انحرفت عن القصد. وَمُشَجِّرَاتُ: مشتبكات لا يتميّز فيها الحق من الباطل.

(٤) حَاطَهَا: صانها وحفظها. وَالموَانِيُّ: المواقف المساعدة.

(٥) عَيْنِ شَمْسٍ: ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة، وكان فيها بيت الفقيد.

دعائِمُهُ التَّقْوَى وَأَسَايَهُ الْهَنَى
 وَفِيهِ الْأَيَادِي مَرْضِيَّ اللِّينَاتِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَا لَكَ مُوحِشًاٌ
^(١) عَبْسُونَ الْمَغَانِي مُفَقِّرَ الْعَرَصَاتِ
 لَقَدْ كُنْتَ مَقْصُودَ الْجَوَابِ أَمْلًا
 تَطُوفُ بِكَ الْأَمَالُ مُبْتَهَلَاتِ
^(٢) مَثَابَةً أَرْزَاقِي، وَمَهْبِطَ جَنَاحَةِ
 وَمَطْلَعَ أَنْوَاءِ، وَكَنْزَ هَظَاتِ
^(٤)

ورثاء مصطفى كامل باشا

مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني في مصر وزعيم المناوشين
 للاحتلال، ولد في القاهرة سنة ١٨٧٤ و كان خطيباً سياسياً مصرياً و صحافياً
 واسع النفوذ. واليه يرجع الفضل في إذكاء روح القومية المصرية وتوحيد
 صفوف المصريين للمطالبة بحقوقهم. توفي سنة ١٩٠٨ ، وهو في الرابعة
 والثلاثين من عمره وكان يوم جنازته يوماً شعبياً مشهوداً، وقد حمل الحزن عليه
 مصر بل جميع الأقطار العربية، ورثاء الأدب العربي في كل مكان. و فيما قيل
 فيه قصيدة حافظت التالية:

أَيَا قَبِيرُ هَذَا الضِيْفِ أَمَالُ أُمَّةٍ
 فَكَبِيرٌ وَهَلْلَانِيَّ وَالَّقَ ضَيْفُكَ جَائِيَا

(١) دعائم البيت: عمده. والأيادي: التعم. واللينات: رما يضرب من الطين للبناء، الواحدة لينة.

(٢) الموحش: الخالي الذي ليس به ساكن. ومعانيه: منزله التي كان ينزل بها ساكنه، الواحد مغنى. وعرصاته: ساحاته.

(٣) منزل آهل: عابر بأهله. ومبتهلات داعية متضرة.

(٤) المثابة: المرجع. أي إن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت في طلب أرزاقهم.

عزيز علينا أن نرى فيك (مضطجع)
 شهيد العلى في زهرة العمر ذاواها
 أيا قبر لو أنا فقدناه وحده
 لكان التأسي من جوى الحزن شافيا^(١)
 ولكن فقدنا كل شيء يفقدو
 وعئيات أن يأتي به الدُّغَر ثانيا
 فما سائل أين المروءة والوفا
 وأين الحجا والرأي؟ وتحك ما هي
 هنبا لهم فلِيَمُنَا كل صاحب
 فقد أنسكت الصوت الذي كان عاليا^(٢)
 ومات الذي أحيا الشعور وساقه
 إلى المجد فاستحيى النفوس البواليا^(٣)
 مذختك لما كنت حيا فلم أجده
 وإنني أجده اليوم فيك المرانيا
 عليك، ولأ ما لذا الحزن شاملأ
 وفيك، ولأ ما لذا الشعب باكيما^(٤)
 بسوت المداوي للنفوس ولا يرى
 لما فيه من داء النفوس مداواها

(١) التأسي: التصبر والتعزى. وجوى الحزن: حرقة.

(٢) الضمير في «لهم»: للأنجليز.

(٣) استحياء أي أحياه والاستحياء (لغة): الاستبقاء، يقال: استحيا فلان فلاناً، إذا أبقاء حيّا.

(٤) عليك، أي عليك الحزن، وفيك، أي فيك البكاء.

وَكُنَا نِياماً حِينَمَا كُنَّتْ سَاهِدًا
 فَأَسْهَدْنَا حُزْنًا وَأَقْسَطْتَ غَافِيَا
 شَهِيدَ الْعَلَاءِ لَا زَالَ صَوْتُكَ يَبْنَنَا
 يَرَنُّ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ دَاوِيَا
 يُهِبِّ بَنَا هَذَا بَنَاءً أَقْمَتَهُ
 فَلَا تَهْدِمُوا بِاللَّهِ مَا كُنَّتْ بَانِيَا^(١)
 يَصْبِحُ بَنَا: لَا تُشْعِرُوا النَّاسَ أَنِّي
 قَضَيْتُ وَأَنَّ الْحَيَّ قَدْ بَاتَ خَالِيَا^(٢)
 يُنَاهِيْنَا بِاللَّهِ أَلَا تَفَرَّقُوا
 وَكُونُوا رِجَالًا لَا تَسْرُوا الْأَعْادِيَا
 قُرُونِيِّيْ من هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَّةً
 تَشَارِفُكُمْ عَنِّيْ فَإِنْ كُنْتَ بِالْيَا^(٣)
 فَلَا تَحْزِنُوهَا بِالخَلَافِ فَإِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخَلَافِ الدَّوَاهِيَا
 أَجْلُ، أَتَيْهَا الدَّاعِيِّ إِلَى الْخَيْرِ إِنَّا
 عَلَى الْعَهْدِ مَا دَمَنَا فَتَمَ أَنْتَ هَانِيَا
 بِنَاؤُكَ مَخْفُوظٌ، وَطَيْفُكَ مَائِلٌ
 وَصَوْتُكَ مَشْرُعٌ، وَإِنْ كُنْتَ نَائِيَا

(١) أَهَابَ بِهِ: صَاحَ بِهِ وَدَعَاهُ.

(٢) قَضَى: مَلَّ.

(٣) شَارِفَهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ.

عَهْدَنَاكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرُ أَنْ يُرَى
 أَخْوَ الْبَلَسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ باكِيَا
 فَرَحْصُنَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءُ وَفِي غِدِّ
 تَرَانَا كَمَا تَهَوَى جَبَّالًا رواسِيَا
 فِيَا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِي بَعْدَ وَفَاتِهِ
 دَمًا أَخْمَرًا لَا كَتَ بَا نِيلَ جَارِيَا
 وَيَا (مِضْنُ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِيَا
 إِلَى الْحَشِيرِ لَا زَالَ اُنْحَلَالُكَ باقِيَا
 وَنَا أَهْلَ (مِضْنُ) إِنْ جَاهِلْتُمْ مُصَابِكُمْ
 ثَقُوا أَنْ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ هَاوِيَا
 ثَلَاثُونَ عَامًا^(١) بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةَ
 بِجِيدِ الْلَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
 سَتَشَهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ
 فَقِي مُفْرَدًا بَلْ كَنْتَ جَيْشًا مُغَازِيَا

(١) توفي مصطفى كامل باشا عن أربعة وثلاثين عاماً، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريري.

شفيق المعلوف

شاعر لبناني، معاصر، ولد في زحلة سنة ١٩٠٥ م، وتنقَّف تحت إشراف أبيه العلامة عيسى، إسكندر المعلوف. أسهم بنشاط في «العصبة الأندلسية» التي أنشأها بعض الأدباء العرب المهاجرين إلى أميركا، وترأسها مدة من الزمن. له مؤلفات عديدة شعرًا ونثراً، منها «رواية ليلى الأخيلية»، و«نداء المجاذيف»، وملحمة «عقبر» التي تُرجمت إلى عدة لغات أجنبية. من أشهر قصائده في الرثاء تلك التي قالها في شقيقه فوزي.

أهْوَيْتُ أَبْحَثُ عَنْهُ فِي التُّرَبِ
 تَاجُ تَدْخَرَجَ عَنْ جَيْنِ أَبِي
 بِا مَوْتُ وَنِسَكَ! صَفَعَتْ أَيْ أَبِ
 شَيْخٌ يَعْبُدُ سِينِيَّهُ تَوْبِ
 غَبَّشَا تُفَتَّشُ تَحْتَ لِمَتِيهِ
 عَنْ شَفَرَةِ سَوْدَاءِ لَمْ تَثِيبَ^(١)
 وَالْأَمُّ! هَلْ غَصَصَ النُّزَى رَوَكَتْ
 فِي صَدْرِهَا شَوْطًا لِمَتَهِبِ؟

(١) اللمة: الشعر الذي يتتجاوز شحمة الأذن.

وَا طَوَنْ خَسِرَتْهَا وَقَدْ وَلَدَتْ
 لِلْمَجْدِ لَا لِحَفَائِرِ التُّرَبِ!
 فَوْزِي، فَدَيْشَك، كُلُّ هَافِئَةٍ
 فِي الصُّدُورِ تَنْطِقُ بِاسْمِكَ الْعَذِيبِ
 بَاكِرَتْ قَبْرَكَ حِينَ رَوَّعْنِي
 أَنَّ الْقُبُورَ كَثِيفَةُ الْحُجَّبِ
 فَوَدَدَتْ لَوْ كَفَّايَ يَغْتَرَّنَا
 كُومَ الزَّهْرَوِيِّ عَنِ التَّرَى الرُّطَبِ
 فَأَزِيلَ عَنْكَ ثَرَى لَفْثَ بِهِ
 مَنْ كَانَ مِثْكَ لَفْثَ بِالشَّهْبِ
 أَنْفُرَ تَخْتَ الْأَرْضِ رَوْيَعَةُ
 نَارِيَةُ قُدُسِيَّةُ الْلَّهَبِ!
 مُذْ خَاقَ عَنْهَا الْكَوْنُ وَأَنْتَنَتْ
 طَرَقِيهِ مِنْ قُطْبِ إِلَى قُطْبِ
 سُخْرَتْ أَجْنِحَةُ الشُّورِ لَهَا
 وَدَفَعْتَهَا وَبِها إِلَى الشَّهْبِ
 لَهُفِي عَلَى نَسْرِ تَوَغْلَ فِي
 تَحْلِيقِهِ يَوْمًا وَلَمْ يَرُبِّ
 نَسْرَ جَرِيَةِ الْوَوْبِ مُكْتَمِلٌ
 رِيشَ الْجَنَاحِ مُقْتَمِلُ الْأَفْبِ
 قَبْتُ التَّوْقُلِ لَا يَسْفُ مَتِي
 وَطَيَّةُ الْغَمَامِ يَمْخُلِبُ صَلَبِ^(۱)

(۱) التَّوْقُل: الصَّعُود. يَسْتَ يَمْرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

ذِيَّاكَ فَوْزِيْ فَهُوَ لِيْسِ سَوْيِ
 نَسْرِ وَرَاهِ الْغَيْمِ مُخْتَجِبٌ
 لَا هَذِهِ الرُّمُمُ التِّيْ فَشَلَتْ
 وَبِسَائِلِهَا فَهُوتَ عَلَى الْهَضِبِ^(١)

* * *

وقال بمناسبة إزاحة الستار عن تمثال أخيه فوزي :

فَوْزِيْ، وَمَا لِي فِي الْخُطُوبِ يَدَانِ
 مَا هَكَذَا الْأَخْسَوَانِ يَلْتَقِيَانِ
 قَرِبَتْ صَدْرِي لِلْعَنَاقِ فَلَمْ أَقْنِ
 إِلَّا عَلَى تِسْطِعِ مِنَ الصَّوَانِ
 هَشَّتْ لَكَ الْأَزْمَانُ قَبْلَ وَلَدَهَا
 فَأَخْلَعَ زَمَانًا وَأَشْعَرَ بِزَمَانٍ^(٢)
 لِلَّهِ نَصْبُكَ فَهُوَ أَخْلَدَ بُرْدَةً
 فِي الْأَرْضِ يَنْسُجُهَا الْخَلُودُ الْفَانِي^(٣)
 نُصْبَ خَفَضْتَ لَهُ الْجُفُونِ كَائِنًا
 نُصِبَتْ حِجَارَتُهُ عَلَى اجْفَانِي

(١) الرُّمُمُ: ج رمة، وهي ما يلي من العظام.

(٢) هَشَّتْ: تبُسمت وارتاحت، نشطت.

(٣) النصب: الصُّنم، وهذا التمثال. بُرْدَة: ثوب مخطط يلتحفُ به.



أدبية لبنانية، ولدت في أميون (اللبنان الشمالي) سنة 1916 م، ونالت شهادة التخصص بأمراض النساء والتوليد سنة 1942 م. مارست، ولا تزال، الطب والجراحة النسائية في طرابلس. لها ديوان شعري بعنوان «أوراق العمر».

لُقِّبَتْ، بحقّ، شاعرة الأمومة في الأدب العربيّ، نظراً إلى قصائدها الرائعة التي قالتها في أبناءها، وخاصةً في ولدها الشهيد «نقولا» الذي استشهد في الحرب اللبنانيّة (1975 م). تقول في إحدى قصائدها لابنها «حنا»:

لو على عيني يُتعلّيه مشى
لم أُقل يوماً له: يا ابني تائّى

يمتاز رثاؤها لابنها «نقولا» باللوعة الحارة، والعاطفة المتدافعّة، فهي تمثل ابنها أبداً، وتخاطبه، وتتصوّره بحبّ أمومي يفوق، في صدقه والتبايعه كلّ وصف. وفيما يلي بعض النماذج منه:

الذكرىيات التائهة!

تلّاقت ذكريات في خيالي
أتنس الذكريات؟ من المحال

يُؤرّقني التساؤل عن فراغ
 فراغ في النهار وفي الليل
 وطبي لا يجيب ولئن يتدري
 وكثبي لا ترد على سؤالي
 ألا فاماً فراغاً في عيني
 وفي رحي وعد مثل الهلال
 تصور الذكريات تمز سكري
 على عيني على فكري بوالي
 فكنت تعود من بعد افتراء
 وتتحملني على وهج الوصال
 يزنني ذراعك يا يقولا
 على خضري تشد بلا إلال
 تدور البيت بي فرحاً وشوقاً
 تميل من اليمين إلى الشمال
 وفستانني يفتح فيه وزد
 وترقص في الهواء خيوط شالي
 فائمل فوق صدرك من غير
 وأضعد للسماء ولا أغالي
 ونهمل كل حشناه أيامي
 تغمر وهي تمشي في ظلامي
 تصعد إذ تراك تنهايات
 تغار من العناق ومن دلالي

من قال غاب؟

طال البعاد أما قذ حان لقبيانا
أيا نقولا، فإن البغداد أهانا
إن كنت أبليو أمام الناس هادئاً
في قلب أمك قد فجرت بركانا
من قال: قد غاب؟ كلام لم يغب أبداً
أراه في مقلة الإنسان إنساناً
أراه في كل قوميٍّ غداً بطلأً
أراه في رطين الأخقاد قرباناً
أراه في الطُّبُّ في كتبى على شفتي
أراه في زهارات السَّرْدِ الْوَانَا
أراه في الطَّيْرِ في الأشجار بسيقة
أراه في نسمات الفجر أحاناً
أراه حولي في رفقِ... يُداعِبُني
وفي سريري عند الصُّبْحِ أحياناً
يسير للام شنواه بلا وجبل
ذوماً، ويشرخ إشكالاً وأنجاناً
إني سأدعُو ابني «مِيَا» - يُفاجئني -
خباً ومكرمة مني وعِزفاناً
إن الخلود، أيا ابني، ليس يشغلني
رضيَتُ فيكم، وكان القلب ملاناً

شُكراً جيبي لقذ أَغْطِشَا بِطَلَاءٍ
 به نشيء، وَقذ رَفَعْتُنا شانا
 هل قذ ترَكتك يوماً؟ كيف تُشْرِكُني
 شكلَ لائِسَجَ لِلأيامِ أحزاناً؟
 أصْفَحَ حَوْلَكَ وَرَدَا كُنْتَ تَفْسَحُ
 وَاقْرَأُ الْكُتُبَ إنْجِيلًا وَقُرْآنًا
 كُمْ قذ طَلَبْتُ وَكُمْ صَلَيْتُ جاثيةٌ
 ليَخْمِي اللَّهُ أَبْنَاطَالاً وَشَجَعَانًا
 مضى شهيداً فلِمَ أَبْكِي عَلَيْهِ؟ لقذ
 رَدَ الْبُودِيَّةَ لِمَا السُوقُتُ قذ حاناً
 قد كان يملاً «أميسوناً» ببهجهه
 واليوم يملاً كلُّ الكونِ إيماناً

أَيْلُولُ لِيْس بِقادِمٍ

الْيَوْمُ لِي بِيْتِي وَلِي وَخْدِي
 وَلِي الدَّمْوعُ نَدَّي وَلِي وَجْدِي
 الْلَّفْمُ لَا لِتَفْجِعِي أَوْ خَنْسَرَةٌ
 لِلذَّكْرِيَّاتِ فَمَا ذَهَبَ وَرَدِي
 إِنِّي لَا ذَكْرٌ يَوْمٌ كُنْتُ عَلِيَّةَ
 وَأَرَدْتُ أَنْ تَمْضِي مَعَ الْوَلَدِ
 فَصَدَفَتْ عَنْ كُلِّ الرِّفَاقِ وَلَغَبَّهُمْ
 وَيَقِيتْ قَرِيبِي رَافِضًا بَعْدِي

كُنْ قَدْ حَرَضْتُ عَلَى هَنَاكَ مُدَلْلِي
 مِنْ ذَا يَكِيلُ لَكَ الْهَنَا بَعْدِي؟
 إِنِّي جَمَعْتُ الْيَاسِمِينَ أَصْوَغَةً
 عِفْدًا لِجَيْدِكَ حَامِلًا وَجْدِي
 وَيُسَرَادُ مِنِّي أَنْ أَغْيِرْ مَلْبِسِي
 تَفْسِيرُ لَوْنِ الشَّوْبِ هَلْ يُجْدِي؟
 مَاذَا يُبَلِّلُ أَسْوَدًا أَوْ أَبْيَضَ
 فِي الْقَلْبِ مَا فِيهِ مِنَ الرَّوْقِدِ؟
 هَذِي قَمِيصُكَ قَدْ لَبِسْتُ أَمَا تَرَى
 فَكَانَهَا خَبِطَتْ عَلَى قَلْبِي
 رَكَضْتُ إِلَيْيَ وَعَانَقْتُنِي! هَلْ فَرَأَتْ
 أَنِّي حَبِيبَةُ هَذِهِ الْبُرْدَ
 حَتَّى قَمِيصُكَ هَذِهِ الْخَرْسَا حَكَتْ
 لِي قَصَّةَ الْأَبْسَطَالِ وَالْمَجَدِ؟
 أَتَزَوَّرُ فِي أَيْلُولَ أَمْكَ مَهْجَنِي؟
 أَهْنَاكَ وَضَلَّ بَعْدَ ذَا الصُّدُّ؟
 إِنْ لَمْ تَعْذُ، أَيْلُولُ لَيْسَ بِقَادِمٍ
 سَيَّانٌ يَخْفِي الرَّزْفَنْرَ أَوْ يُبَدِّي

نزار قباني

شاعر من كبار الشعراء العرب المعاصرين، فلسطيني الأصل، سوري المولد والجنسية، لبناني الإقامة والهوى. ولد في دمشق في السنة ١٩٢٣ م / ١٣٤٢ هـ، وتخرج في الجامعة السورية بإجازة في الحقوق، وخدم وطنه في السلك الدبلوماسي ما بين السنة ١٩٤٥ م، والسنة ١٩٦٦ م. يُعتبر من كبار المجددين في الأدب العربي المعاصر. لُقب بـ«شاعر المرأة»، واشتهر بالغزل، لا بالرثاء، ولكن له قصيدة طويلة قالها في رثاء زوجته العرافية بلقيس عندما قُتلت بانفجار في بيروت، وهي تدلّ على أنّ عبرية الشاعر لا تقتصر على ضرب من ضروب الفن الغنائي، فالمليل المجيد يبدع ويُجيد في أي فنّ غنائي عزف على أوتاره. وفيما يلي بعض المقاطع من هذه القصيدة.

شكراً لكم . . .

شكراً لكم

فحبيبي قُتلت، وصار بِوسعكم
أن تشربوا كأساً على قبر الشهيدة
وَصَبَدَتِي أُغْتَلَتْ . . .
وَهَلْ مِنْ أُمَّةٍ فِي الْأَرْضِ

إلا نحن تفائل القصيدة

* * *

بلقيس . . .
كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل
بلقيس . . .
كانت أطول التخلات في أرض العراق
كانت إذا تمشي
ترافقها طواويس . . .
وتتبعها أيائل
بلقيس . . . يا وجعي . . .
ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل
هل يا ترى . . .
من يبعد شغرك سوف ترتفع السنايل ؟؟

* * *

يا نسوى الخضرة
يا عجيري الشقراء
يا أمواج دجلة
تلبس في الربيع يساقها
أخلى الخلايل

* * *

بلقيس ا
لا تنتهي عن

فَإِنَّ الشَّمْسَ بَعْدَكِ
لَا تُضِيِّعُ عَلَى السَّوَاجِلِ

* * *

بِلْقِيسُ
أَيْتَهَا الشَّهِيدَةُ . . . وَالْقَمِيدَةُ
وَالْمُطَهَّرَةُ النَّقِيَّةُ . . .
سَبَّا تَفَتَّشُ عَنْ مَلِيكَتِهَا
فَرِدَّيْ لِلْجَمَاهِيرِ التَّحِيَّةُ

* * *

الموتُ فِي فَنْجَانٍ قَهْوَنَّا . . .
وَفِي مَفْتَاحٍ شِقْتَنَا . . .
وَفِي أَرْهَارٍ شُرْقْتَنَا . . .
وَفِي وَرْقِ الْجَرَائِيدِ . . .
وَالْمَحْرُوفِ الْأَبْجِيدِيَّةِ . . .

* * *

بِلْقِيسُ . . .
يَا عَطْرَا إِذَا كِرْتِي
وَيَا قَبْرَا يُسَامِرُ فِي الغَمَامِ
قَتَلُوكِ، فِي بَيْرُوتِ، مِثْلَ أَيِّ غَزَالٍ
مِنْ بَعْدِهَا . . . قَتَلُوا الْكَلَامِ

* * *

بِلْقِيسُ

مُشْتَاقُونْ . . . مُشْتَاقُونْ . . . مُشْتَاقُونْ .
وَالْبَيْتُ الصَّغِيرُ . . .
يُسَائِلُ عَنْ أَمِيرَتِهِ الْمُعْطَرَةِ الْذِيُولُ
تُضْغَى إِلَى الْأَخْبَارِ . . . الْأَخْبَارُ غَامِضَةٌ
وَلَا تَرْوِي فَضُولَنْ

* * *

بِلْقِيسُ . . .

مُدْبِحُونَ حَتَّى الْعَظَمِ
وَالْأُولَادُ لَا يَذْرُونَ مَا يَجْرِي
وَلَا أَذْرِي أَنَا مَاذَا أَقُولُ

* * *

هَلْ تَقْرَعِينَ الْبَابَ بَعْدَ دَقَائِقِ
هَلْ تَخْلِعِينَ الْمَعْطَفَ الشَّتَوِيَّ
هَلْ تَأْتِي بِاسِمَةِ . . .
وَنَاضِرَةِ . . .
وَمُشْرِقَةِ كَأْزَهَارِ الْحُكُولِ

* * *

بِلْقِيسُ . . .

إِنْ زُرْوَعَكِ الْخَضْرَاءِ
مَا زَالَتْ عَلَى الْحِيطَانِ بَاكِيَةً
وَوَجْهَكِ لَمْ يَرْلُ مُتَنَقْلًا

بين المرايا والستائر
حتى سجارتك التي أشعلتها
لم تنطفئ
ودخانها
ما زال يرفض أن يسافر

* * *

بلقيس . . .
مطعونون مطعونون في الأعماقِ
والأخذاق يسكنها الدهون
بلقيس . . .
كيف أخذت أيامي وأحلامي
وأغتبت الحدائق والقصول !!؟

* * *

يا زوجتي . . .
وحبيبي . . . وقصيدتي . . . وضياء عيني
فلا كنت عضورِي الجميل
فكيف هربت يا بلقيس مني ؟

* * *

بلقيس . . .
هذا موعد الشاي، العراقي المُعطرِ
والمعتق كسلافة
نعم الذي سيوزع الأقداح، أيتها الزرافة

وَمِنَ الَّذِي نَقَلَ الْفُرَاتَ لِبَيْتِنَا
وَوَرَودَ دِجلَةَ وَالرَّصَافَةَ

* * *

بَلْقِيسُ . . .
يَا بَلْقِيسُ . . .
يَا بَلْقِيسُ . . .
كُلُّ غَمَامَةٍ تَبْكِي عَلَيْكِ
فَمَنْ تُرَى يَبْكِي عَلَيْ
بَلْقِيسُ . . . كَيْفَ رَحَلْتِ صَامِدَةً
وَلَمْ تَضَعِي يَدَيْكِ عَلَى يَدَيْهَا؟

* * *

بَلْقِيسُ . . .
أَسْأَلُكِ السُّمَاحَ، فَرَبِّـما
كَانَتْ حَيَاتُكِ فِدْيَةً لِحَيَاـتي
إِنِّي لَا عِرْفٌ جَيْداً
أَنَّ الَّذِينَ تَوَرُّطُوا فِي القَتْلِ كَانُوا مُرَادُهُمْ
أَنْ يَقْتُلُوا كَلِمَاتِي

* * *

نَامِي بِحِفْظِ اللَّهِ، أَيْتَهَا الْجَمِيلَةَ
فَالشَّرْعُ بَعْدَكِ مُسْتَحِيلٌ
وَالْأُنُوَّةُ مُسْتَحِيلَةٌ

ستظل أجيال من الأطفال
تُسأل عن صفاتِك الطويلة
وتظل أجيال من العشاق
تقرأ عنك أيتها المعلمة الأصيلة . . .

جورج غانم

جورج غانم، شاعر لبناني، ولد في بسكتا سنة ١٩٤٣، ونشأ على حبّ الشعر في بيت والده الشاعر عبد الله غانم. عمل في التدريس والإدارة والصحافة، وحصل ثقافة فنية متنوعة من رمزية إلى رومانطيقية إلى كلاسيكية. يتميّز أدبه بأناقه الأسلوب وفرح الأجواء، وتنوع المواضيع. من مؤلفاته: «أزهار في الخريف»، «نداء البعيد»، و«أصوات وراء الحدود». من أشهر قصائده في الرثاء تلك التي قالها في والده.

والدي

١ - وَعْذَنَا، وَشَدَّ الْفَرَاغُ عَلَيْنَا
وَأَقْفَرَتِ الْأَرْضُ أَنِّي مَشَّيْنَا
وَخَيْفَنَا نُرَدَّدَ اسْمَكَ خَيْفَنَا نُرَدَّدَ شِغْرَكَ
فَذِكْرَكَ تَهَرَّبُ مِنَ النَّارِ يَجْرِي إِلَيْنَا
وَحِينَ عَرَفْنَاكَ أَنْتَ أَمْسِيَتْ وَحْدَكَ
بَكِينَاكَ حَتَّى بَكِينَا خَلُودَكَ بَعْدَكَ.

٢ - وَمَرَّ زَمَانٌ
غَيْوَمٌ وَرِيحَ وَغَرْبَةٌ

لِيَالٍ تَطَاوِلُ فِيهَا الشَّوَّانُ
وَلَا صَوْتٌ فِي بَيْتِنَا لَا ضِيَاءٌ
نَسْجَنَا عَلَى كُلِّ عَيْنٍ مَسَاءٌ
وَلَمْ يَقِنْ إِلَّا خِيَالُكَ نَقْبَعُ قَرْبَةً
وَكَانَ دُخَانٌ.

٣ - أَبِي أَينَ وَجْهُكَ أَينَ يَرَاعُكَ
هَجَرْتُ يَرَاعِي مُدْغَابَ عَنَا شِرَاعُكَ
وَأَيْنَ الْأَحَادِيثُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
ثُرَدَّهَا فِي الْعَشِيَّ
وَأَبْقَى لَعْنَيْكَ هَذَا الصُّبْيَّ
يُدْغِيَّ حَضْنَكَ
بَقِيَاتُكَ فِي الْبَيْتِ ثُوبَ عَتِيقَ
حَذَاءُ جَوَارِبَ.

٤ - عَصَّا لَا تُمْسِ
دَفَاتِرُ نَثَرَ وَشِعْرَ
غَبَارُ سَرَابَ وَحَزَنُ
بَقِيَاتُكَ جَرَحَ بَقْلَبِي وَقَلْبُ الشَّبَابِ
وَفِي قَلْبِ أَمِي جَرَاحَ
بَقِيَاتُكَ فِينَا رِيَاحُ.

٥ - أَبِي أَينَ صَوْتُكَ أَينَ الْحَنَانُ
قَطَعْتَ تُخُومَ الزُّمَانُ

وأمسى مكانك ذاك المكان
نرجع ذكراك لحنا ويخنق الحن
أبي من بقاياك نحن
شباب يعيده إلى العمر وجه الفتولة
أبي صررت في كل فنير نبؤة.

٦ - أنا ديك أنا أنا ديك أنا مسا

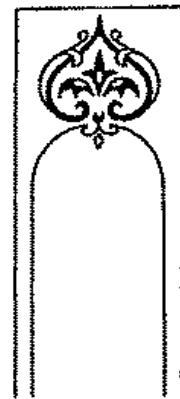
لشريق فوق نهاري شمسا
لتنبت في راحتى زروعنا
وتوجد في مقلتي الربيعا
في خصب ترب .. .
تعلمني كيف أعطي وكيف أحب
تعلمني كيف يحيا الآباء
وماذا ت يريد الحياة
أبي عندما تردى الشروز
تعلمني أي شغف أثير



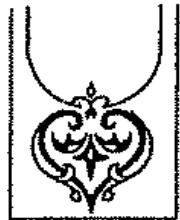
نصب مدفني
إغريقي
في رودس

اعتماد الإغريق وضع أنصاب رخامية على مدافن موتاهم تكريماً لهم وحفظاً لذكراهم. وت تكون هذه الانصب من حجر مستطيل يزنته حفر ناقص يمثل الميت مع أحد أفراد عائلته في موقف حنان وعطف.

يحمل هذا النصب في أعلى اسم كراتيو وتيماريستا وهو يمثل شخصين في وقفة جانبية، يد كلّ منهما على كتف الآخر في موقف تعزية وتأسُّ. وقد أظهر النحات طيات الثوب الإغريقي بكلّ أمانة ودقة، وأوحى بالهدوء والأس المناسبين للموضوع ولموقع الحجر المدفني.



مُتَفَرِّقَاتٌ
فِي الْرُّثَاءِ



مَرْئِيَةُ الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ (١)

الرَّيْحُ ثقِيلٌ عَلَيْنَا، وَرَمَادُ أَيَّامِنَا عَلَى الْأَرْضِ. نَلْمَعُ رُوْحَنَا فِي بَرِيقِ
شَفَرَةٍ أَوْ عَلَى طَرَفِ خُوذَةٍ، وَخَرِيفُ الْمَمَالِعِ يَتَنَاثِرُ فَوْقَ جِرَاجِنَا، وَمَا مِنْ
شَجَرَةٍ أَوْ نَبْعَ.

اللَّيْلُ يَتَخَذُّ (١)، وَفَوْقَ جُثُبِ الْعَصَافِيرِ تَدَبُّ (٢) طَفُولَةُ النَّهَارِ، وَالْبَحْرُ
يُغْلِقُ فِي وَجْهِنَا سَرِيرَهُ، وَعَبَّاً يَتَرَحَّزُ الْبَابُ الْمُؤَصَّدُ (٣). وَنَصْرَخُ. وَنَحْلَمُ
بِالْبُكَاءِ، وَلَا دَمَعَ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَنَلْوِي أَعْنَاقَنَا تَحْتَ الرَّيْحِ وَالصَّقِيعِ . . .

وَنَمْضِي، صَدَوْرُنَا إِلَى الْبَحْرِ، وَفِي كَلْمَاتِنَا يَرْقُدُ نَحِيبُ (٤) عَصِيرٌ آخَرُ،
وَكَلْمَاتُنَا لَا وَرِيثَ لَهَا، نُعَايِنُ جُزُرَ الْوَحْدَةِ، نَشُمُ الغَرَابَةَ الْبِكَرِ فِي قَعْدَرِ
الْهَاوِيَّةِ، وَنَسْمَعُ مَرَاكِبَنَا تَرْسِلُ خَوَارَهَا (٥) الْيَائِسَ، وَالْيَأسُ هَلَالُ طَالَعِ، وَالشَّرُّ
فِي طَفُولَتِهِ. وَعَنْدَ مَسَاقيِطِ الْأَنْهَرِ فِي بَحْرِنَا الْمَيْتِ، يَلْدُ اللَّيْلُ أَعْيَادًا وَعِرَائِسَ
مِنَ الزَّيْدِ وَالرَّمْلِ، مِنَ الْجَرَادِ وَالرَّمْلِ.

(١) يَتَخَذُّ: يَتَراَكِمُ الدَّمُ وَيَفْسَدُ.

(٢) تَدَبُّ: تَرَحَّفُ بِبَطْءٍ.

(٣) الْمُؤَصَّدُ: الْمَقْفُلُ.

(٤) نَحِيب: بَكَاءُ وَعَوْيَلٍ.

(٥) الخوار: صوتُ الثُّورِ.

ونمضي في منحدراتِ من الوحش والتحمّب، والارض تنزف دماً في
خواصِرنا، الحياة هزيلة في هذه الدقائق من العمر، النهار لا حواجب له،
وليس للشمس أهداب طويلة، وتحت أقنعة الجليد والرمل نكبرُ ويكتبرُ
الناس.

أدونيس
(بتصرف)

رثاء تلميذة

- قال الياس عشي في رثاء تلميذة له سقطت بشظية في الحرب اللبنانيّة الأخيرة.
- ١ - عندما يصير الوطن نفقا، تلغى المسافة بين وجهه ووجهه، وتتنطفي العيون، وتُصبح غربة الإنسان مشابهة لغربة الوطن، ولغربة الموت.
- ٢ - عندما قالوا: لا رأ نجحت لم أفعل، فنجاح لا رأ كان واضحًا كوضوح ابتسامتها المزروعة في أرجاء الصّف، وعندما قالوا: لا رأ مات، لم أبك، فمَوت الياسمين قدر ليتبقى السماء مُعطرة، وموت الياسمين لا يتوقف عند سور الحديقة، بل هو موت نبوي لـ نكهة الطفولة التي لم يرحمها أحد في هذه السنوات العجاف. كيف تموتين، يا لا رأ، بشظية وأحلامك كانت كالورد؟
- ٣ - تأكدي يا لا رأ أن موتك الغي عقلي، وحوّلني في لحظة إلى مشاعر متناقضة مفككة لا ضابط لها سوى ذكري عامين كنت فيما تلميذتي، وسابقني مع بقية الأساتذة والزملاء ذكر عينيك الوامضتين وشعرك المجدول كأنه الشلال، وغمّازتين على الوجه تسامرين بهما الحقول.
- ٤ - ويعد شهر نعود إلى المدرسة دونك، وستفتقدي يا لا رأ، وسنحاول الآبكى، فلأنّك تكرهين البكاء، لكننا نعدك بأنك ستبقين في قلوبنا جميعاً: الياس عشي جديلة، وغمّازتين، وشغراً.

متفرقات رثائية

اجرَّ القلبَ واسقَ شِغْرَكَ مِنْهُ
فَلَمَّا تَلَمَّ القلبَ خَمْسَةُ الْأَقْلَامِ

الياس أبو شبكه

* * *

نصيِّبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ
نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ حَيَالٍ
رَمَانِي الدَّفَرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
فُؤَادِي فِي غَشَاءِ مِنْ نِيَالٍ
فَصَرَّتُ إِذَا أَصَابَتِي سَهَامٌ
تَكَسَّرَتِ النُّصَالُ عَلَى النُّصَالِ
المُتَنَبِّي

* * *

قال ابن الجهم يرثي أولاده:

فَارْفَتُكُمْ، وَحِيتُ بَغْدَكُمْ
مَا هَكَذَا كَانَ الَّذِي يَحِبُّ

لأني لألقي الناس مُغتَسلاً
منْ أَنْ أَعِيشَ، وَأَنْشُمْ غَيْبٌ

* * *

قال أمين نخلة في رثاء شibli الملاط:
إِنْ تَرَى الرُّجْفَ حِينَهُ فِي أَنَامِلِهِ
فَذَاكَ مِنْ طَوْلِ مَسْ الْوَحْيِ لِلْقَلْمَنْ

* * *

وَأَعُودُ بِالذِّكْرِ عَلَى عَهْدِ لَنَا
رَفَتْ عَلَيْهِ نَضَارَةُ وَسَنَاءٍ
أَيَّامَ نَضَحْكُ وَالْمُنْيَ مَغْشَوَةٌ
وَلِكُلِّ شَيْءٍ رَوْنَقٌ وَرُوَافِعٌ
نَخْتَالُ فِي رَوْضَ الشَّابِ وَبَرْدَوٍ
وَنَخَالُ أَنَا وَخَذَنَا الْأَخِيَاءُ
محمد كوسا

* * *

روى الأصمسي أنه رأى بالبادية امرأة الصقت خدها بقبر زوجها وهي
تبكي، وتقول:

خَدِيْ تَقِيكَ خُشُونَةَ اللَّهِدِ
وَقَلِيلَةُ لَكَ، سَيِّدِي، خَدِيْ
يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي يُوفَاتِهِ
عَمِيقَتْ عَلَيْ مَسَالِكُ السُّرْشِيدِ
اسْمَعْ أَبْشَكَ عَلَيَّ فَلَعَلَّنِي
أَطْفَيِ بِذَلِكَ حُرْفَةَ الْوَجْدِ

* * *

تزوج الأمين بفتاة، وتُوفّي عنها قبل أن يبني بها، فندبته ندبة حاراً،
ومن قولها فيه:

أَبْكِنِكَ لَا لِلشُعْبِمِ وَالْأَسْ
بَلْ لِلْمَعْالِي وَالرُّفْعَ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى سَيِّدِ فُجُوتِ بِهِ
أَرْمَلِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْغَرْسِ

* * *

من أروع ما رُثي به الزوجات وأشجاه قول محمد بن عبد الملك
الزيات في زوجته:

أَلَا مَنْ رَأَى الطَّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهَ
بُعْيَدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبَدَّرَانِ^(١)
رَأَى كُلَّ أُمَّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمَّهَ
بِيَتَانِ تَحْتَ الْأَيْلِ بَتَّجِيَانِ
وِيَاتِ وَحِيدًا فِي الْفَرَاشِ تَحْتُهُ
بَلَالِيْلُ قَلْبُ دَائِمٍ الْخَفَقَانِ
فَلَا تَلْهِيَانِي إِنْ بَكِيْتُ فَلَيْاً
أَدَوِي بِهَذَا الدَّمْعَ مَا تَرِيَانِ
وَإِنْ مَكَانًا فِي الشَّرَى خَطَّ لَخْلَهُ
لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي يَكُلُّ مَكَانِ

(١) بَدَرَانٌ: يَسْلَانُ بِالدَّمْعِ.

أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى
فَهَلْ أَنْتُمَا إِنْ عَجَّتُ مُسْتَظِرَانِ

* * *

ماتت شريكة حياة محمود سامي البارودي، وهو منفي في سرنديب (جزيرة سيرلنكا)، فحرم أولاده أباهم وأمهما معاً. واجتمع عليه بذلك أسى النفي، والفقد، وحرمان الأبناء، ومن كانت أنفسهم في غيبته وأمنهم وسعادتهم، ولم يلبث أن بث حسرته المتوفدة وحرقه المتأججة في مرثية طويلة يقول فيها:

يَا ذَهَرُ فِيمَ فَجَعَتْنِي بِحَلِيلِهِ
كَانَتْ خُلَاضَةً عُذْنِي وَعَنَادِي
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَحَّمْ ضَنَائِي لِيُعِدَّهَا
أَفَلَا رَجِمْتَ مِنَ الْأَسْى أُولَادِي
أَفْرَذَنَهُنْ فَلَمْ يَتَمَّنْ تَرْجُعًا
فَرُحْخِي الْعَيْسَوِينَ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
يَتَكَبَّنَ مِنْ وَلَمْ يُسْرَاقَ حَفْيَيْهِ
كَانَتْ لَهُنْ كَثِيرَةُ الْإِسْعَادِ
فَخُدُودُهُنْ مِنَ الدَّمْوعِ نَدِيَّهُ
وَقُلُوبُهُنْ مِنَ الْهُمْسَوْمِ صَوَادِي

* * *

كان مالك بن الريب في غزوة في خراسان، فحضرته المنية، فناح على نفسه قائلاً:

فِي صَاحِبِي رَخْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَأَخْفِرَا
بَرَابِيَّةً، إِنِّي مُسْقِيمٌ، لِيَالِيَا

وَخُطَا بِأَطْرافِ الْأَيْنَةِ مَضْجَعِي
 وَرُدُّا عَلَى عَيْنَيِ فَضْلِ رِدَائِيَا
 خُذَانِي، فَجُرَانِي بِرُدْدِي إِلَيْكُمَا
 وَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، صَعْبَا قِيَادِيَا
 تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَى فَلَمْ أَجِدْ
 سَوْيِ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدِينِيِّ بِاكِيَا
 وَبِالرَّمْلِ مِنَا نَسْوَةٌ لَوْ شَهِدَتِي
 بَكِينَ وَفَدَيْنَ الطُّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
 غَحْوَزِي وَأَخْتَايِ اللَّثَانِ أَصْبَيْتَا
 بِمَسْوَتِي وَبَسْتَ لِي تَهْجُّ الْبَوَاكِيَا
 وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِي وَأَهْلِهِ
 ذَمِيمَا وَلَا بِالرَّمْلِ وَدَعْتُ قَالِيَ^(۱)
 يَقُولُونَ: لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَلْذُفُونِي
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُغْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

* * *

أوصى أبو العناية بأن يكتب على قبره هذه الأبيات الأربع:

أَذْنَ حَسَنَ تَسْمُعِي
 اسْمُعِي لَمْ عَيِ وَعِي
 أَنَا رَهْنَ بِمَضْجَعِي
 فَاخْلَدِي مُثْلَ مَضْرَعِي

(۱) القالي: المبغض الكاره.

عَشْتُ تَسْنِعِينَ حِجَّةً
لَمْ وَافِيَتْ مِضْجَعِي
لَيْسَ شَيْءٌ بِسْرَى التُّفَسِّي
فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

* * *



الفهرس

٥	المقدمة
من الرثاء في العصر الجاهلي		
٩	المهلهل
١٠	رثاء كلبي
١٢	الخمساء
١٤	رثاء صخر
١٥	قَدَّى بعینك
من الرثاء في العصر الإسلامي والأموي		
٢١	مُتَّمِّمُ بن نويرة
٢٣	حَسَانُ بن ثَابَتُ الْأَنْصَارِي
٢٣	رثاء الرَّسُول
٢٧	جَرِير

٢٨	رثاء امرأته
٣٠	رثاء ابنه
٣٢	في رثاء معن بن زائدة

من الرثاء في العصر العباسي

٣٧	أبو تمام
٤٣	ابن الرومي
٤٤	رثاء ابنه الثالث
٤٤	رثاء ولده الأوسط
٤٩	الشريف الرضي
٥٣	أبو العلاء المعربي
٥٩	المتنبي
٥٩	رثاء أم سيف الدولة
٧١	رثاء محمد بن بقية
٧٥	علي بن محمد التهامي

من الرثاء في العصر الأندلسي

٨١	أبو البقاء الرندي
٨١	رثاء الأندلس

من الرثاء في العصر الحديث

٨٧	الياس أبو شبكة
٩١	مصطفى المنفلوطي
٩٥	صلاح لبكي
٩٩	الأخطل الصغير
١٠٩	حافظ إبراهيم

١٠٩	رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
١١٦	رثاء مصطفى كامل باشا
١٢١	شفيق المعلوف
١٢٥	الدكتورة مي سعادة
١٢٥	الذكريات التائهة
١٢٧	من قال غاب
١٢٨	أيلول ليس بقادم
١٣١	نزار قباني
١٣٩	جورج غانم
١٣٩	والدي
١٤١	نصب مدفنى اغريقى في رودس
١٤٢	سلفادورو دالي - إلحاد الحماج الذاكرة - ١٩٣١

متفرقات رثائية

١٤٥	مرثية الأيام الحاضرة
١٤٧	رثاء تلميذة
١٤٩	متفرقات رثائية

卷之三

2013-08-23 09:44:00

For more information about the study, please contact Dr. Michael J. Hwang at (319) 356-4330 or via email at mhwang@uiowa.edu.

1996-1997 学年第一学期期中考试高二物理试卷

Digitized by srujanika@gmail.com

19. *Journal of the American Mathematical Society*, Vol. 1, No. 1, January 1988.

RESEARCH PAPER | OPEN ACCESS

ANSWER: The answer is 1000. The total number of people in the room is 1000.

[View all posts by **John Doe**](#) [View all posts in **Category A**](#) [View all posts in **Category B**](#)

10.1007/s00339-013-0870-0

Digitized by srujanika@gmail.com

1. *U.S. Fish and Wildlife Service*, Biological Report, Vol. 1, No. 1, 1980.

10. The following table shows the number of hours worked by each employee.

To: www.al-mostafa.com